بحث

سيد نذير حسين في ضوء كتاباته

بحث جامعي لنيل شهادة

ماقبل الدكتوراة

الباحث

محمد أجمل

تحت إشراف

الأستاذ المشارك الدكتور ظهور البارى الأعظمى

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات الأدب والثقافة واللغات-جامعة جواهر لال نهرو

نيودلهى. الهند

٢٠٠٠

SAYYED NAZIR HUSSAIN
IN THE LIGHT OF HIS WRITINGS

(Sayyed Nazir Hussain Fi Dhau-e-Kitabatihi)

Dissertation submitted to the Jawahar Lal Nehru University
in partial fulfillment of the requirements
for the award of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

By

MOHAMMAD AJMAL

Under the Supervision of

DR. ZOHURUL BARI AZMI

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawahar Lal Nehru University
New Delhi
India

2000

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली–110067

Dated: 21.7.2000

DECLARATION

I declare that the material in this dissertation entitled "Sayyed Nazir Hussain in the light of his writings" submitted by me is original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or other university/institution.

M. Ajmal
Mohammad Ajmal
Name of the Scholar

27-7-2000
Dr. Zohurul Bari Azmi
Supervisor

Prof. S. A. Rahman
Chairperson
CAAS/SLL&CS
Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

GRAM:JAYENU TEL: 6107676, 6167557, EXT. 2253, TELEX:031-73167 INU IN FAX:Fax: 91-011-6198234, 91-011-6165886

الإهداء

الى أبى الكريم وأمى الحنون

رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا

الإهداء

الى أبى الكريم وأمى الحنون

رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن شخصا واحدا يستطيع أن يغير التيار من وجهة إلى وجهة ويحول مجرى التاريخ ويأتي في زمن قصير بالأعاجيب التي تأخذ بالألباب، وكم حدث في التاريخ مثل هذه الأحداث، فها هو شاه ولي الله الدهلوي يأتي في زمن عصيب قد ألحق بالإسلام جميع أنواع المخاطر من بدعة وضلالة، فنبذ من القرآن والسنة ويفهمها فهما قد عجز عن ذلك الفهم الآخرون ويحول مجرى التاريخ بعلمه وفكره. وها هو سيد أحمد بن عرفان الشهيد يفتح عينيه في هذه الدنيا فيشاهد الإسلام وتعاليمه وشريعته الغراء في خطر، فإنه وهيد بعزمه القوي وهمته العالية يفعل ما لا يستطيع أن يفعله الآخرون فهو يقيم الحكومة الإسلامية على أرض الله، ولكن الزمان لا يجود بمثل هؤلاء الرجال الأفذاذ إلا قليلا وفي زمن معلوم لا يعرف أهميته إلا الله. وكذلك اختار الله سبحانه وتعالى الشيخ المحدث السيد نذير حسين الدهلوي أن يكون علما من أعلام الفكر والجهاد والتقوى والعمل، ويغير بمشيئة الله وقواه العلمية والفكرية الحياة مجرى التاريخ، وإذا درسنا سيرة السيد وجدنا أن الزمن الذي ولد فيه كان زمنا مظلما حالكا بالنسبة للإسلام والمجتمع الإسلامي والمسلمين، كانت البدع والخرافات والأدواء الخلقية تنخر جسد الحياة الإسلامية وتمتص دماءها وتتركها جثة هامدة بقيت فيها بعض الأنفاس تكاد تموت بين حين وآخر.

في هذا الزمن الحالك يفتح عينيه ويشاهد العالم وأوضاع المسلمين حسناتهم وسوآتهم فيتألم ويتوجع ويذوب قلبه هما وكمدا.

بمثل هذا يذوب القلب من كمد

لو كان في القلب إسلام وإيمان

فإن الإسلام والإيمان كان قد أنار زوايا قلبه ووضح له معالم الطريق فعرف سيد نذير حسين قيمته ورفع من قامته من خلال دراسة العلوم الإسلامية المختلفة وتضلعه فيها ثم بحكمه وتجاربه، فنشق الطريق إلى الأمام وتخطو رويدا رويدا وفي يده نبراس العلم النافع فيبدد نور هذا النبراس ظلمات الجهل والبدعة والأسقام الخلقية، وقام بإصلاحات في مجال الشريعة والدين عظيمة نال في سبيلها عناد كبيرا وشقاء شقيا وكيف لا ينقشع ضباب الخرافات والأوهام والجهالة. وصفته هذه: فقد ذكر الأستاذ عبد الحي الحسني في كتابه نزهة الخواطر:

"إلى الظهور درسه عام ١٣١٢ هـ فوجدته إماما جوالا في الحديث والقرآن حسن العقيدة، ملازما للتدريس ليلا ونهارا، كثير الصلوات والتلاوة، والتخشع والبكاء، شديد التعصب على من خالفه، مداعبا فراحا، متواضعا حليما، ذا جرأة وجدة، لا يخاف في الله لومة لائم، ورزقه الله سبحانه عمرا طويلا، ونفع بعلومه خلقا كثيرا من أهل العرب والعجم انتهت إليه

رئاسة الحديث في بلاد الهند[٤]

هذا الشخص الفذ لم يترك مؤلفات كثيرة ولكنه لو أراد ذلك لكان له في الحديث ما لا يقدر غيره، ولكنه استطاع أن يخلق جيلا جديدا متسلحا بالعلم والثقافة والورع والتقوى، فكان هذا الجيل أو هذه الجماعة أكثر فعالية من كثير من المؤلفات.

وهذه الجماعة بعد وفاته سارت على منهجه واقتفت آثاره وساهمت في تبديد الظلام وانقاذ السنة المطهرة من براثن التقليد الجامد والتعصب المسلكي و شر الجهل المتفاقم المستطير.

إذ خدمات السيد كبيرة وهي تشكل الكتب القيمة منها "معيار الحق" و "الفتاوى النذيرية" وبإنشائه جماعة علمية، وبعمله وثبوته على جاد الحق فإنه أصيب بالمحن والشدائد لكنه لم يتزلزل ولم يتحلحل من مكانه ولم يحد عن طريق الصواب قيد شعرة فهذا الثبوت على الحق وهذه الإستقامة النادرة جعلته درّا مثلثيا يتجمل به جبين التاريخ الإسلامي الهندي.

ونحن ندرس من خلال سيرته وكتبه في الصفحات التالية تلك العبقرية الممتازة التي لا يجود بها الزمان إلا قليلا.

---

٤ عبد الحي الحسني: "نزهة الخواطر"، دار عرفات رائ بريلي. ١٩٨٤. ص. ٥٢٤

وتحقيقا لهذا الهدف النبيل قسمت أطروحتي إلى ثلاثة أبواب، وكل باب يشتمل على ثلاثة فصول. فقد استعرضت في الباب الأول حياة سيد نذير حسين والعصر الذي ولد فيه، ذكرت فيه الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية. — والباب الثاني يحتوي على بيان الحركات الإصلاحية في القرن التاسع عشر و أثرها على سيد نذير حسين. أما الباب الثالث وهو الباب الذي يدور حوله بحثي تحدثت فيه عن شخصية نذير حسين الكاملة في ضوء كتاباته.

وأخيرا أشعر بأن من واجبي أن أتقدم بالشكر إلى أصدقائي الذين دعموني روحيا وعلميا ونفخوا في روح الهمة كلما شعرت بكلال وتعب وتوان إنهم زادوني بقوتهم قوة وعزمهم عزما. فأنا أتقدم بشكري خاصة إلى إخواني منظر عالم و محمد عفان ومحمد أطهر إنهم ساعدوني بتوفير المواد الدراسية كما ساعدوني بآرائهم الجميلة. وكذلك أعرب عن شكري وتقديري لزملائي الآخرين الذين ساعدوني في كل مرحلة من مراحل إعداد هذه الرسالة.

وأخيرا هذا من واجباتي أن أتقدم بالشكر والامتنان إلى مشرفي الدكتور ظهور الباري الأعظمي الذي بعث في روح الدراسة والمطالعة وأرشدني إلى طريق الصواب والسداد وأنقذني من مواطن الضعف والأخطاء وبذل قصارى جهوده في تقديم مساعدات غالية ومشورات قيمة في مسار البحث والتحقيق.

فادعو الله سبحانه أن يمنحه بدوام الصحة والعافية ويتيح لنا فرصة للاستفادة من علمه وفضله ونصحه.

وأرجو من الله التوفيق.

٢٠٠٠/٧/٢٨

محمد أجمل

مركز الدراسات العربية والافريقية

مدرسة دراسات الأدب والثقافة واللغات

جامعة جواهر لال نهرو

نيودلهي

الهند

الباب الأول

في

سيد نذير حسين وعصره

الفصل الأول:

الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية

في عهد سيد نذير حسين

الفصل الثاني:

حياته وآثاره

الفصل الثالث:

موقفه لتغيير الأوضاع المتدهورة للمسلمين

الفصل الأول

الأضاع السياسية والاجتماعية والدينية

ومن اللازم القاء الضوء على الأوضاع السياسية والإجتماعية والدينية للقرن التاسع عشر قبل أن نتحدث عن حياة سيد نذير حسين المحدث الدهلوي و آثاره واتجاهاته، ثم الأوضاع الإجتماعية في كتاباته، لأنه لا يمكن لأي باحث أن يصل إلى الرأي الصائب بدون معرفة هذه الأوضاع. وإذ أننا نبحث عن العوامل التي أثرت في حياة سيد نذير حسين.

فعلينا أن نعرف الأوضاع المذكور في بداية القرن التاسع عشر بوجه خاص لأنه وله في هذا القرن ونشأ وترعرع فيه وتأثر على كثير من العوامل التي توجد في تلك الفترة، ولذا لا بد لنا التركيز عليها في هذا الباب.

ومن المستحسن، أن يسمى القرن التاسع عشر بالنهضة الإصلاحية الدينية و الإجتماعية. كانت الدولة المغولية الهندية تتنفس فى القرن التاسع عشر المسيحى أنفاسها الأخيرة، وكانت الخرافات والأوهام شائعة فى المجتمع الهندى الإسلامى، و مجهودات المسلمين العلمية تتسم بعدم الجدية خلال ذلك القرن كما أصبح العلماء غير قادرين على الإجتهاد ولم يكن هناك الإجتهادات الفقهية سوى العمل فى التقليد الأعمى. وأصبح التصوف يعنى الأعمال الشعبية تنتشر إلى حد كبير، بينما بدأ العلماء يهتمون بالخلافات الفقهية أكثر من القرآن والسنة، ولكن بعض من العلماء البارزين كانوا يتوجهون إلى الكتاب والسنة ويؤكدون على تمسكها بشدة ولكن كان عددهم قليلاً.

( )

وبرز شاه ولى الله الدهلوى فى القرن الثامن عشر على منصة الشهود أى قبل قرن من القرن الذى نتحدث عنه، ونظم منهجا جديدا الإستخراج المسائل الفقهية من الكتاب والسنة. وكان هذا المنهاج هو الرجوع إلى طريقة السلف والتمسك بها والإعتصام بالكتاب والسنة فى العقيدة والعمل والتفكير، و اختيار طريق الفقهاء الأولين فى المسائل الفقهية، والقضاء على الأعمال المحدثة والجمود الفقهى حتى يسهل الوصول إلى الصراط المستقيم فى العقيدة والسلوك. وتدهورت أوضاع الهند الإجتماعية ودخلت فى المجتمع الإسلامى التقاليد والخرافات والأعراف الفاسدة، لا علاقة لها بالدين والشريعة الإسلامية، وبدأ الناس يتناولون غير إسلامية، وبدأ

بعضهم أن يقدسون الطقوس غير الإسلامية وكانوا يفتخرون بها.

أما الأوضاع السياسية، فإن البلاد كانت تحت سيطرة السياسة الإنكليزية بأكملها، واستولى الإنكليز(ون) على المناصب العليا والسفلى معاً، وأدخلوا الرعب في قلوب الجميع. وفي جانب آخر، بدأ يبذرون بذور العداوة بين المسلمين وغيرهم التي أسفرت عن الاضطرابات الطائفية في أماكن شتى من جميع أنحاء البلاد، ووصلت الدولة كلها إلى فوهة البراكين الموشكة على الانفجار، وبدأت آثار الأمن والطمأنينة والرخاء والسعادة تتمحى وتفنى وتضمحل.[1]

الأحوال الدينية والثقافية:

على كل حال إنما يهمنا دعوته إلى الإصلاح وعمله في سبيله لأنه يرى أن المسلمين في الهند كانوا يصيبون بالفقر والجهل. منهم من درس دراسة دينية لا يفتح نظرا ولا يظهر حياة واسعة، وهم يتبعون رجال الدين الذين لا يفهمون من دينه إلا رسمه، ولا يعرفون تحول زمان وتلون حياة وتقدم علم، ويعيشون في ركود وجمود، والعالم حولهم كله ماج، وكانوا يرون أن المدنية الحديثة بعملها

---

[1] نذير أحمد رحماني: "أهل حديث اور سياست"؛ ط. الجامعة السلفية بنارس ١٩٨٦م ص ١٨٠

ونظمها ووسائلها وغايتها مدنية كفر. لا يجوز للمسلم أن يستفيد منها ولا أن يتعاون مع أهلها وأنهم إذا كشفوا صدورهم لها أطاحت عقائدهم وأخرجتهم من دينهم. وفي كل منطقة أو ولاية كان هناك "المولوي" وهذا المولوي أو العالم يتسلط على عقول الناس، فإذا أسس واحد منهم مدرسة فحرم هؤلاء العلماء على المسلمين أن يرسلوا أبناءهم إليها، ولا يقيمون أي مدرسة من مثلها. وإذا أقيمت الحكومة مدرسة لا يسمح العلماء أبناء المسلمين الدخول فيها. أما الهندوس كانوا يرسلون أبناءهم إلى المدرسة فيتعلمون ويصلون حياتهم ويصلون إلى المناصب الحكومية، والمسلمون كانوا منعزلين عن الوظائف لأنهم يدرسون في المدارس الدينية البدائية بمعزل عن الحياة. ولذلك المناصب الحكومية العامة كانت في أيدي غير المسلمين. [٢]

موقف الإنكليز تجاه المسلمين:

وتدهورت أوضاع المسلمين وحكمهم بعد الثورة الجماهيرية ضد الإنكليز بالهند في ١٨٥٧م. فقد انتهى بها التاريخ المشترك في الهند. والهند لها حضارة

---

[٢] شيخ محمد اكرام: "رود كوثر" كلاسيكل پبلشرس دهلي، ١٩٨٤. صـ ٩٣

راقية ولا تقل عن الحكم العباسي في بغداد آخر الأمر في الأندلس. وبدأ التاريخ بذلك كتابا جديدا لحياة المسلمين في هذه البلاد يختلف اختلافا كليا عن الكتاب الأول وبدأ الحكام الإنكليز تضييق حياة المسلمين بشتى الوسائل. وهذا خلق في نفوس المسلمين كراهية للإنكليز ونفورا عنهم فبدأوا يتخاذون على دينهم من الحكام الإنكليز. فخاطحوا كل شئ انكليزي حتى التعليم.

والواقع أن الغزو الإنكليزي الهندي لم يكن غزوا سياسيا فقط وإنما كان ثقافيا أيضا حيث يستهدف التقاليد الغربية الهندية بوجه عام، والتراث الثقافي والديني الإسلامي بوجه خاص. وذلك تمهيدا لغرس الثقافة المسيحية ونشرها وترويجها بين سكان هذه البلاد، فبعد قيام الحكومة البريطانية أغلقت المعاهد التعليمية للمسلمين في دلهي وباهور وآكره وغيرها من المدن في غوجرات وبيهار ومدراس وبنغال، وذلك لأنها كانت تعتمد في بقائها و نشاطاتها على التبرعات السخية من أثرياء المسلمين والأوقاف والمؤسسات الإسلامية.

قد أصبح الأثرياء والأغنياء ضحايا للهجمة الإستعمارية وصارت الأوقاف والمؤسسات الخيرية ملكا للدولة المستعمرة التي أصبحت جاثمة على صدر الشعب الهندي عاملة على تخلفه وتعطيل سيرته الحضارية والقضاء على الثقافة

الدينية الإسلامية بوجه خاص حيث لم يكن من صالحها أن تكون المعاهد و المدارس الإسلامية دائبة على تنشئة الجيل المسلمة و تربيتها وأعدادها، ونتيجة ذلك أصيب نظام التعليم الإسلامي بشلل كلي. [٣]

وبعد التأكد من أن نظام التعليم للمسلمين في الهند قد تعطل تماما، وركزت الحكومة البريطانية عنايتها على تقويض حياتهم الثقافية والدينية، وبدأت تسعى جاهدة لطمس هويتهم المميزة فتوقفت عن تعيين القضاة المسلمين - إلا قليلا - بهدف النيل من أهمية الدين، وأقامت جمعيات تبشيرية ومراكز للدعوة في مختلف أنحاء البلاد لا يحصى، وكانت المراكز هي المسيحية حسب، وكان من المهام الرئيسية لهذه الجمعيات والمراكز توجيه هجمات مركزة ضد الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم.. وذلك انطلاقا من عقيدتها بأنها لن تتمكن من نشر العقيدة المسيحية وترسيخ جذورها في أرض قلوب الشعب الهندي بدون القضاء على أثر الدين الإسلامي فبعد تصفية كبار العلماء المسلمين وإبادة معاهدهم التعليمية وتمثيلها بكل طريقة ممكنة، وإبراز المسيحية بكل ما فيها من مغريات مادية تنفيذا لخطتهم لإستهواء جماهير الشعب الهندي لاعتناق الدين المسيحي. فشهدت البلاد ما شهدته من جهود

---

[٣] عبد الحق: " الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية في استقلال ١٩٤٧م".

ط. المعهد الديني للدراسات الإسلامية. بنجاب لهلي ١٩٨٩م ص. ١٢.١١.

مركزة من الإنكليز لجعل عقيدتهم تتوغل في أذهان الناس، وتنفذ إلى قلوبهم عن طريق نظام التعليم العصري المزعوم. وهم استغلوا في هذا الخصوص الصدر أوضاع الفقر والتخلف التي كانت يعيشها الشعب الهندي بوجه عام، وكان هذا الجزء لسياسة الإنكليز للإستيلاء على البلاد عن طريق الغزو الديني والثقافي. وهذه الأوضاع خلقت بالطبع تحديا خطيرا للإسلام والمسلمين حيث لم يعد من الأيسر إبقاء البسطاء والضعفاء من الطبقة المسلمة على دينهم وعقيدتهم في وجه الأعاصير المسيحية التي كانت تحاول إبادة كل ما يمت بصلة إلى الإسلام.[٤]

مقاومة المسلمين ضد الإنكليز:

وكانت هناك شرذمة قليلة للعلماء شعرت بخطورة الوضع، فنهضت لكي تكافح الإستعمار الإنكليزي وخطتها الشنيعة الخبيثة الرامية إلى محو آثار الإسلام والمسلمين من هذه البقعة من العالم بعد أن حكموها قرون عديدة فاجتمع هؤلاء العلماء من منطلق إيمانهم بالدين الإسلامي الحنيف وغيرتهم الدينية في بلدة "تهانه بهون" عبقرية نظفر نخر قريبا من دلهي لإستعراض الموقف

---

[٤] زبير أحمد الفاروقي: "مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي". ط. دار الفاروقي نيو دلهي ١٩٩٠م ص. ١٨

وما كان فيه من أخطار للأمة المسلمة وثقافتها وهويتها المميزة. فاستقرت الآراء والمشورات على اختيار الزعماء في نضالهم من أجل المحافظة على الشعلة المضائلة للعقيدة والإيمان وحماية المجموعة المسلمة من غزو الإلحاد والمسيحية في معركة الاستقلال المعروفة لعام ١٨٥٧م الموافق ١٢٨٤هـ، وحاربوا الجيش البريطاني ببلدة شاملي ولكن توقفوا حين بلغهم الخبر عن سقوط دلهي. ٥

بروز حركة الإصلاح والجهاد:

اتفق العلماء على انشاء الحركة التي تحارب مع الإنكليز وحكومتها التي استولت أجزاء الهند، فوضع العلماء طريقا جديدا للدعوة والجهاد وانتشرت هذه الدعوة في الهند، وكان بناءها الفكري والعلمي والديني على أساس متين بحيث لم يضعفه الانقلاب السياسي الهندي. وكانت من أغراض هذه الحركة الأولية صيانة الإسلام من ضلوع المحدثات والأوهام ودعوة الناس إلى مجال العلم والعمل. وقد وصلت هذه الحركة إلى الهند في عهد إسماعيل الشهيد وانضمت مع حركة شاه ولي الله الخالصة وهي سميت بحركة أهل الحديث. وقبل أن تخوض هذه الشرذمة في

---

٥ سيد محبوب رضوي: "تاريخ ديوبند"، ط. مكتبة دار العلوم ديوبند. ١٩٨٢م. ص ٣٩٠

ميدان القتال والنضال، بالبحث على يد سيد أحمد بن عرفان الشهيد ثم انتشر دعاتها المخلصون في أنحاء الهند، ولبث الوعي الإسلامي وتوعية المسلمين من سباتهم العميق ودعوة الناس إلى طريقة السلف. وكان من أعضاء هذه الحركة الشيخ عبد الحي البرلوي والعلامة ولايت علي وشقيقه عنايت علي العظيم آبادي وسيد علي محمد الرامفوري وغيرهم كثير من العلماء الكبار، فهؤلاء كانوا من زعماء هذه الحركة وقاموا ببذل جهودهم المخلصة ضد أعداء الإسلام تحت راية أميرها سيد أحمد بن عرفان الشهيد. فغادر المجاهدون إلى الحدود واستقروا هناك ثم بدأوا الجهاد فعلا، وقد ظفروا في الحروب كثيرة، ولكنهم لم يستمروا ناجحة في مجال السياسة ثم حادت الحركة بالتحول إلى الحركة سرية وكان يرأسها الإمامان الشقيقان ولايت علي وعنايت علي من أسرة صادقفور، وقد كرسا بأنفسهما للحركة. وقد بقيت هذه الحركة تمارس أعمالها الجهادية الدعوية إلى أن اضطرت سلطة الإنكليز و أرغم الإستعمار البريطاني أن تهرب من الهند. وفكرت في إنشاء المدارس الدينية وإحياء الدعوة إلى الكتاب والسنة، وقد نفع الله بهذه الحركة الهند و سكانها كثيرا بحيث تحول الناس انتباههم وأنظارهم إلى الإسلام. وقد

وقد تمت الدعوة السلفية بنشاطاتها وتحركاتها، ونشطت رجالها في نشر السنة وإحيائها، وكم من سنة طامسة قد نشرت بإحيائها، وكم من مؤلف

ألفوا في السنة والسلفية فهو من جهود هؤلاء المصلحين، وكم من بقعة من بقاع أرض الهند تلألأت بنور الإسلام والسنة النبوية من جهود دعاة هذه الحركة ثم شعر بعضهم من كان لهم أواصر وشيقة بهذه الحركة وأهدافها نحو الدعوة والدين، فقاموا بأداء واجبهم المطلوب يعني بمن فيهم سيد نذير حسين المحدث الدهلوي والنواب صديق حسن خان البوفالي ومن هذا الجند وهم ثم جهوا جل عنايتهم المخلصة وباهتمامهم البالغة في نشر الكتاب والسنة على منهج الطريقة السلفية دراسة وتأليفا ودعوة وإرشادا مع ارتباط سري بحركة المصلحين السرية وتقديم مساعدتهم بقدر الطاقة والإمكان. [٦]

[٦] عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي: "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة" ط. إدارة البحوث الإسلامية بنارس. ١٩٨٦م ص. ٨٨

الفصل الثانی

حیاته و آثاره

وُلد سيد نذير حسين بن جواد علي بن عظمة الله بن الله بخش الحسيني في قرية "بلعوا" قريبا من مدينة سورج غراه بمديرية مونغير بولاية بيهار عام ١٢٢٠ الهجري الموافق عام ١٨٠٥ الميلادي، وتقع هذه المدينة على شاطئ نهر غنغا حوالي عشرين ميلاً من مدينة مونغير غربا، وثمانين ميلاً من مدينة عظيم آباد (پٹنا) شرقا، نشأ وترعرع سيد نذير حسين بعظم نهار وقضى طفولته منها. وينتمي الشيخ المذكور إلى أسرة من أسر السادات الحسينية أبا وأما، وكان لقبه "ميان صاحب".

سبب لقب "ميان صاحب":

كان سكان دلهي يصفون أعضاء عائلة شاه ولي الله المحدث الدهلوي البارزين بـ "ميان صاحب" ولذلك وُصف ابنه الأكبر شاه عبد العزيز المحدث بـ "ميان صاحب" وحينما تولى شاه محمد إسحاق منصب جده من الأم شاه عبد العزيز المحدث للتدريس في المدرسة الرحيمية فهو كذلك وُصف بـ "ميان صاحب". ولذلك حينما فوّض شاه محمد إسحاق هذا المنصب لسيد نذير حسين قبل مغادرته من دلهي وهجرته إلى مكة المكرمة، وصف سيد نذير حسين المحدث الدهلوي أيضا بنفس اللقب، وذلك اعتبارا منه أن سيد نذير حسين أصبح من أحفاد شاه ولي الله الروحانيين بعد تولية منصب شاه محمد إسحاق العلمي الروحاني، ولذلك بدأ الناس أيضا يعتبرونه من أحفاد

شاه ولی اللہ الروحانیین.[٧]

والجدیر بالذکر أنه وُصف بـ "شیخ الکل فی الکل" بعد أن سافر هو نفسه إلی مکة المکرمة فی عام ١٣٠٠ الهجری، لدراسة الأحادیث النبویة، وکانت مکة المکرمة مرکزاً هاماً لدرس الحدیث فی تلک الأیام، کما کانت ملجأً للعلماء والمحدثین، فمنهم من تعامل مع سید نذیر حسین تأثر، ووصفوه بهذا اللقب، ولکن تلامذه ووصفوه فقط بـ "شیخ الکل" فی کتاباتهم. إلا أن سید نذیر حسین بنفسه کان یفضل لقب "میاں صاحب" نسبة إلی شاه محمد إسحاق ومنه إلی شاه عبد العزیز وشاه ولی اللہ.

والجدیر بالذکر، أنه لم یعترف إلی اللقب الذی منحته الحکومة الإنکلیزیة، بسبب ولائه معها، وذلک لقب "شمس العلماء" حیث یقول: إنه لا یحتاج إلی لقب آخر بعد أن وصفنا القرآن الکریم بـ "حنیف مسلم"، وهذا یکفی، وکان یصر علی "میاں صاحب" و کان یعتبر هذا اللقب سعادة له.

إنتقال أجداده إلی "سورج غراه":

قد قتل بعض المسلمین خلال عهد الملک قطب الدین ایبک بأمر من الملک الدردون

---

[٧] فضل حسین المظفر نوری: "الحیاة بعد المماة". ط. المکتبة النذیریة حضرو باکستان، ١٩٣٢، ص. ١٩

بسبب ذبحهم البقرة. (وكان ذبح البقرة ذنبا كبيرا في تلك الدولة).

ولما بلغت أخبار هذا الحادث المؤلم إلى قطب الدين أيبك في دلهي عاصمة الهند فأرسل جيشا كبيرا لهذا الغرض، وفرح ستون ضابطا من كبار علماء السادات وكان واحد منهم "أحمد شاه جاجنيري" وهو من أجداد سيد نذير حسين المحدث.

وغلب هذا الجيش على الملك انندرون. (وثم الخيار للضباط المعارضين ضد جيش الملك انندرون، بأن يستحسنوا سكنهم حيثما يريدون في أنحاء البلاد)، فاختار سيد أحمد جاجنيري مدينة "سورج غراه" سكنا له، فعاش فيها فعلم ابنائه، وكان منهم سيد هداد علي وهو أبو سيد نذير حسين. كان سيد هداد علي ذكيا حادا بين ابنائه الآخرين في الكتابة والقراءة، وتعلم اللغة العربية والفارسية وتفوق فيهما أحسن التفوق، ومات سيد هداد علي في نفس القرية ودفن فيها. [٨]

إن أحوال طفولة سيد نذير حسين ليست لها أهمية خاصة، لأنه كان لا يبذل جل اهتمامه إلى الدراسة والكتابة، بل كان يفر من الدراسة ويرغب في اللهو واللعب. وليس من المستغرب، إن هذا اللهو والإشتغال بالألعاب الرياضية في ريعان شبابه أدى إلى حسن صحته وسلامة جسمه فاننا نراه في أواخر سنه صابرا حليما ولم يكن يشعر

---

[٨] أبو يحيى خان نوشهروي: "تراجم علماء اهل حديث"، ط. مكتبة: الكتاب انترانيشنول نيو دلهي ١٩٩٢ ص. ١٣٤

بالثواني والعشور في سبيل أهدافه وغاياته، وإذا إنه كان من أسرة العلماء والقضاة، مع أنه لم يكن جديا خلال طفولته واكتسب كثيرا من العلم والفضل بعد أن كبر في السن.

بداية رغبته في العلم:

وكان يحرص على اتخاذ الأصدقاء من الشبان عامة الناس من قريته، رغم نشأته الإستقراطية المترفة. وكان شهاب من البراهمة صديقا له في قريته الذي ربما يقوم باللقاء مع أبيه.

وذات يوم قال لسيد نذير حسين بأن قدمك على عتبة الشباب ولم تدرس شيئا من العلم مع أن كلا من أسرتك بارعون في العلم والفضل، أما أنك فستبقى جاهلا. فهذه الملامة والإستثارة أثارت كوامن نفسه وأحدثت شعورا طاغيا، كانت النتيجة، أنه مال إلى الدراسة والحصول على العلم والفضل مبلغا عظيما. ودرس الفارسية من أبيه سيد جواد على الذي كانت له مهارة تامة في هذه اللغة السائدة في زمنه ثم درس الكتب العربية الإبتدائية، وكذلك تعلم الخط والإنشاء في قريته إياها، ونهل من ينابيع مختلفة، ودرس عديدا من العلوم والفنون حتى اشتهر براعته في الفقه والحديث.

وفي غضون ذلك يختلج في قلبه شوق إلى تحصيل الدراسة العليا، وهذا

الشوق أدّى إلى ترك القرية والمغادرة إلى مدينة بتنا (عظيم آباد) وهو ابن ست عشرة سنة. فلما أدرك إلحة العلم والمعرفة خرج من القرية تحمل مشاق السفر من القرية للحصول على هدفه وهي القراءة والدراسة وبذل الجهود الكبيرة بهذا الشأن، واستشار بعض زملائه كان يحرص على العلم أيضا فنشدّ الرحال في ليلة مظلمة وقاما باللجوء إلى مدينة صادق فور وهو المكان الذي كان معروفا بالعلم والفضل يتوافد إليه الطلاب من جميع أنحاء البلاد للدراسة آنذاك. فقرأ السيد نذير حسين على أساتذة صادق فور، ودرس هناك ترجمة القرآن وكتاب مشكاة المصابيح. [٩]

لقاءه مع سيد أحمد البريلوي وشاه إسمعيل الشهيد

وفي أثناء ذلك، بلغ إليه خبر قدوم سيد أحمد البريلوي وإسماعيل الشهيد وجاءا إلى مدينة بتنا (عظيم آباد) فأدرك سيد نذير حسين بتلك المدينة زعماء حركة الجهاد .. الإمامين الشهيدين في سنة ١٢٣٧ الهجرية، فاستمع سيد نذير حسين إلى خطابتهما الدينية الإصلاحية في الحفلة التي انعقدت في ساحة غاندي بتنا الواسعة. وهي تركت أثرا كبيرا في عواطفه وأحاسيسه وأفاضت نورانيتها القاعلى أفكاره وأخلاقه حتى امتلأ قلبه

---

[٩] محمد إبراهيم ميرسيالكوتي: "تاريخ أهل حديث". ط. الكتاب انترانيشنل نيودلهي ١٩٩٥. ص. ٤٢٦

بالإيمان وغشيه نور المعرفة.

وكان يقول السيد نذير الحسين: "إننا حضرنا تلك الحفلة ثم حان وقت الصلوة فأدينا في ساحة غاندي "بتنا" عنا سبقة الصدر السيد أحمد البريلوي وشاه إسماعيل الشهيد وكانت الساحة مملوءة بالناس ولعبت بها للمرة الأولى في مدينة "بتنا". ع١٠

DISS
297.8 W, M05 28P0

رحلة إلى طلب العلم:

ورحل السيد نذير الحسين لطلب العلم إلى صادق فور والتحق بمدرسة "مولوي عنايت علي" وكان الشيخ عنايت علي من كبار علماء صادق فور ومؤسس مدرسة صادق فور، وكانت هذه المدرسة آنذاك مدرسة شهيرة معروفة بالعلم والفضل يتوافد إليها الناس من أنحاء العالم، فقرأ هناك السيد نذير الحسين بعض الكتب الإسلامية المهمة ولم يلبث فيها إلا سنة أشهر. ثم سافر منها وأقام في أماكن عديدة في أثناء سفره إلى دلهي مثل "بلدة غازي فور" ومكث فيها أياما ثم غادر إلى مدينة إله أباد وأقام بها، وقرأ المختصرات على أعيان تلك المدينة ثم قام بالمغادرة إلى مدينة دلهي حتى وصل إليها سنة ١٢٤٨ الهجرية.

ع١٠ عبد الحي الحسني: "نزهة الخواطر" ٦/٨. دار عرفات للتجريبي ١٩٨٤م ص. ٥٣٢

"وجد سيد نذير حسين شمس العلماء في مدينة دلهي عام ١٨٢٨م و
ولكنه نزل بها بعد فترة مديدة وجعل مسجدا حلجأ له يسمى بـ"مسجد
أورنغ آبادي" يقع في حي "كترة منجابي"، وكان هذا المسجد فخما شامخا
ومنال مكانة مرموقة بين مساجد دلهي الأخرى، ولم يكن هذا المسجد أقل
بهاء ورونق من المسجد الجامع ومسجد فتح فوري، لكن "مسجد أورنغ
آبادي" ذهبت ضحيته لتوسيع محطة القطار بدلهي" [1]

وتلمذ على أساتذتها، وقرأ الكتب الدرسية على مولوي عبد الخالق وأخذ الأصول
والبلاغة والتفسير عن الشيخ كرامت علي الإسرائيلي، والأدب عن الشيخ عبد القادر
الرامفوري وتخرج من ذلك في خمس سنين.

ثم لازم دروس الشيخ المسند شاه محمد إسحاق سبط الشيخ عبد العزيز بن
ولي الله المحدث الدهلوي وأقام تحت إشرافه حوالي ثلاثة عشر عاما، وتشبع بعلومه و
استغرف من بحار علمه، وفاق في العلم والفضل، فاستخلفه الشيخ محمد إسحاق منصبه
عندما قام بهجرته إلى مكة المكرمة عام ١٣٥٨ الهجري، فعكف على هذا المنصب، فتصدر
للتدريس والتذكير والإفتاء، ودرس الكتب الدرسية من كل علم وفن لاسيما الفقه

---

[1] فضل حسين: "الحياة بعد المماة" ص. ٣٢

والأصول إلى سنة ١٢٧٠ الهجرية، وكانت له عناية كبيرة في بالفقه الحنفي ثم غلب عليه حب القرآن والحديث فترك اشتغاله بما سواهما إلا الفقه فأصبح من أهل الحديث.[١٢]

أساتذة الشيخ نذير حسين:

سافر سيد نذير حسين من قريته إلى صادق فور وأقام بها ودرس هنالك ترجمة القرآن الكريم وكتاب مشكوة المصابيح على الأستاذ شاه محمد حسين وهو خليفة مولوى عنايت على الصادقفورى. ثم حل في مدينة غازى فور وهو في طريقه إلى دلهى ودرس على مولوى أحمد على السشرياكوتى، ثم وصل إلى دلهى عام ١٢٤٢ الهجرى وتلمذ أولا على الأستاذ عبد الخالق وهو تلميذ شاه محمد إسحاق المحدث ودرس عليه من الكتب التالية:

المختصر المعانى وحسامى وغير ذلك.

وقرأ شرح جامى، وصدرا، وشمس بازغة على الأستاذ ملا أخوند منير محمد وهو تلميذ شاه عبد القادر بن شاه ولى الله وزميل في الصحيح البخارى لشاه محمد إسماعيل الشهيد. ودرس سيد نذير حسين على الأستاذ كرامت على الإسرائيلى مؤلف "السيرة الأحمدية" الكتب الآتية: المطول، والتلويح، ومسلم الثبوت، والكشاف وبعض التفاسير وغيرها.

---

١٢ عبد الرحمن الفريوائى: "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم". ط. إدارة البحوث الإسلامية بنارس ١٩٩٢م. ص. ١٨

وهو كان تلميذ فضل إمام الخيرآبادي وشاه رفيع الدين ابن شاه ولي الله المحدث الدهلوي.

وأخيرا لازم شاه محمد إسحاق الدهلوي وأخذ منه الحديث والتفسير ودرس عليه كتاب كنز العمال والجامع الصغير وغير ذلك. ١٣

"وفي الواقع أن سيد نذير حسين ينتمي إلى الزعماء البارعين من حركة أهل الحديث، وهو خليفة شاه محمد إسحاق بعده جيلا بعد جيل منه إلى شاه عبد العزيز وشاه ولي الله التي وصف بلقبهم" هياں صاحب ١٤

إختياره مذهب أهل الحديث:

كان سيد نذير حسين في بداية دراسته وتدريسه مغرما بالفقه الحنفي كما ذكرنا ونال فيه براعة كبيرة. ولكنه توجه عنايته إلى دراسة الحديث واشتغاله بها، حتى غلب عليه حبه ودرس الحديث ستين عاما متواصلا وأصبح مجتهدا بنفسه وظن أن الفقه الحنفي يغلب عليه القياس والإجماع ويقابلهما مع الكتاب والسنة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحنفية يرجح التقليد لشخص معين بصرف

---

١٣ فضل حسين: "الحياة بعد المماة". ص. ٣٥

١٤ BARBARA DALY METCALF: ISLAMIC REVIVAL IN BRITISH INDIA. DEOBAND-1800-1900
PRINCETON UNIVERSITY PRESS NEW JERSEY. 1982 . P. 276

النظر من القرآن والحديث وأجاز العمل بالقياس والإجماع، فاختار مذهب أهل الحديث في سنة ١٢٧٤ الهجرية، وخالف الجمود الفقهي والتقليد لأحد من الأئمة الأربعة.[١٥]

شغفه بالدراسة والمطالعة:

نلاحظ خدماته العلمية والدينية ومساهمته في هذا المجال تحت بيان كتاباته في الباب الثالث، والآن نذكر هنا نبذة من شوق مطالعته وطلب معلوماته المتزايدة. لاشك فيه أن عدم وجود المكتبات القومية يحد على التطورات العلمية والفنية، ولم يزل أحد العناية إلى المكتبات القومية العامة في الهند ولم يهتم بها، من أجل ذلك لم تحح الأمية بين عامة الناس، وعكس ذلك من الدراسة القومية. وبالإضافة إلى الدراسات الدينية الإسلامية فهي مفقودة سوى في بضعة من الناس.

أما سيد نذير حسين كان مولعا بالدراسة والمطالعة منذ حداثة سنه، ومن حسن حظه، هيناك، توجد في مدينة دلهي مكتبتان هائلتان: إحداهما المكتبة الحكومية في الحصن التي كانت تذخر فيها الكتب الدينية المثنوية منذ آلاف سنة، وفي إطار ذلك كان سيد نذير حسين يجب ولي العهد لبهادر شاه ظفر ميرزا فخر الدين الذي حاول

---

[١٥] محمد إبراهيم جير: "تاريخ أهل حديث". ص. ٤٢٣

دائما لتوفير الكتب للمكتبة. والمكتبة الثانية التي تقع في مدينة دلهي أيضا وبابها مفتوح لجميع الناس يملكها عليها شاه عبد العزيز واستفاد منها كثيرا. والثالثة كان يملكها سيد نذير حسين بنفسه وحاول تنمية الكتب فيها، ومعظمها كانت كتبا خطية نادرة ولم يلتفت أحد إلى الطباعة والنشر، ولكن فقدت أكثرها خلال الثورة التحريرية عام ١٨٥٧م. [١٦]

واشترك في نشاطات الكفاح لاستقلال الهند، وعندما يبدو له في بعض الأحيان أن يقوم بالولاء مع الحكومة الإنكليزية.

الولاء مع الحكومة الإنكليزية:

قد قرر من قبل أن سيد نذير حسين حارب مع مخالفي الكتاب والسنة ضد مواقف الحكومة الإنكليزية المحتلة ولذلك اهتم بخلاف التقليد الجامد والمحدثات، ولم يبادر ذهنه إلا إلى الكتاب والسنة. وقام بالولاء مع الحكومة الإنكليزية لعدم وجود شروط من شرائط الجهاد ولم يوقع على جدوله. غير أن العلماء وعامة الناس قد بدأوا القتال والملحمة خلاف الحكومة، ولم يكن سيد نذير حسين مستعدا على هذا

---

[١٦] أبو يحيى نور شهروي: "تراجم علماء أهل حديث". ص. ١٤٦

القرار وليقول:

"هذا كان صفحاء ولؤما، ولم يكن هناك أي سبب للقتال مع الحكومة وليس هذا إلا التخريب والتدمير. وينتفع بهذا الجبل ذوائهم وصواهب الأنانية، فلذالم أوقع ولم أختم على هذا الجدول".[١٧]

وفي أثناء ذلك، أصيبت إمرأة انكليزية بجروح في هجوم القاتلين، فهي فيئت بها إلى سيد نذير حسين فألجأها وعالجها حتى تبرأت. وهذه العناية جاءت من جانب سيد نذير حسين فغاء عن الناس وإلا ليضره القاتلون ويهجمون على بيته. ولكن لم يطلع أحد على هذا الخبر ولم يكتشفه حتى ثلاثة أشهر. ولم يظهر على الذين يعيشون بنفس المبنى ولكن بعد أن وصل الأمن والسلام في المدينة، فسلمها إلى الحكومة وفاز بجائزة من الشهادات وأشياء أخرى بمكافأة هذا العمل، ولكنه يبدو لي في بعض الأحيان انه خالف للحكومة الإنكليزية.[١٨]

---

[١٧] فضل حسين: "الحياة بعد المماة": ص. ٤٧

[١٨] لطف حسين: "مقدمة": سيد نذير حسين: "معيار الحق": المكتبة النذيرية قصور باكستان ١٩٣٨م ص. ٧

أثر شاه ولي الله على السيد نذير حسين :

وكانت الموافقة بين المذاهب الأربعة إبعاد العلماء من التقليد الجامد، ومن أهم أهداف شاه ولي الله الدهلوي الذي برز في القرن الثامن عشر كأكبر عالم ومصلح ديني في شبه القارة الهندية، وله تأثير ديني كبير في تطورات هذه البلاد الدينية. فوجه انتقاده إلى قواعد الفقه وأصوله التي يترتب عليها رفض الحديث وانكاره. ومع وجود هذه التصريحات في موقفه من الفقه. و وصية شاه ولي الله الاعتصام بالكتاب والسنة في العقيدة والعمل والتفكير فيهما دائما. واختار مذهب فقهاء أهل السنة والإعراض عن تفضيل مالم يفعلوه، وعدم التوجه إلى تشكيك أهل العقول واتباع العلماء المحدثين في الفروع. فهم قد جمعوا بين الحديث والفقه، وعرض الفروع الفقهية دائما على الكتاب والسنة، وقبل ما يوافقهما ورد مالم يوافق. والأمة لا يمكن أن تستغني في أي وقت عن عرض مسائل الاجتهاد على الكتاب والسنة، وعدم الاستماع إلى أقوال الفقهاء الذين تمسكوا بتقليد عالم وتركوا اتباع السنة وعدم الالتفات إليهم، وطلب تقرب الحق بدونهم.

ولهذه الجهود الدينية كانت له آثار ملموسة في تعريف التعاليم الدينية السمحاء وإبعاد الناس عن كثير من العقائد الباطلة والعادات المنكرة، وخلق جو للاعتصام بالكتاب والسنة. ونجد آثارا واضحة للتأثر من شاه ولي الله في أفكاره

وملاحظاته وكذلك تأثر كثيرا من أفكار شاه عبد العزيز وإسحاق". [١٩]

وتوفي سيد نذير حسين يوم الاثنين لعشر ليال مضين من رجب سنة ١٣٢٠ الهجرية في مدينة دلهي، ودفن فيها. [٢٠]

---

[١٩] عبد الرحمن: "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة"، إدارة البحوث الإسلامية بنارس ١٩٨٦. ص- ١٠٤

[٢٠] فضل حسين: "الحياة بعد المماة". ص. ٣٤٩

الفصل الثالث

موقف سيد نذير حسين فى تغيير الأوضاع المتدهورة للمسلمين

يعتبر سيد نذير حسين مؤسس حركة أهل الحديث أو الحركة السلفية في الهند فكانت شخصيته معروفة في الأوساط العلمية، كما يعتبر من أكبر علماء الكبار و جهابذة المحدثين في هذه البلاد، وذلك بعد أن شلورت هذه الحركة في النجد والحجاز في القرن الثامن عشر تحت لواء محمد بن عبدالوهاب، وانجبت الهند في كل قرن وجيل رجالاً، ظلما انجبت بلاداً أخرى. وهكذا أصبح سيد نذير حسين أكبر مبلغ هذه الحركة وداعيا إلى الكتاب والسنة ضد التقليد الأعمى الذي فشى بين عامة الناس، قائلاً إن هذه الأوهام والخرافات لا علاقة لها بالإسلام والشريعة المحمدية أبدا.

فازدهرت حركة السنة ازدهارا كبيرا بجهود المحدث الشيخ نذير حسين الدهلوي فهو كان حقا إمام السنة في عصره وبارع في الكتاب والسنة في شبه القارة الهندية. لعب دورا رياديا في نشر الكتاب والسنة واقلاع جذور المحدثات والخرافات والتقاليد ولم يأل جهدا في هذا المجال، فتولى مسند التدريس والإفتاء إلى مدة مديدة تحتوي على أكثر من نصف قرن نيابة عن المحدث شاه محمد إسحاق الدهلوي.

وآن الأوان أن يكون معهدا للقيام بالتدريس فيه العقائد والفقه و الحديث، فتوجه سيد نذير حسين وأسس مدرسة صغيرة في دلهي، وقام بدور التجديد والإصلاح والدعوة والإرشاد في المجتمع ونشر السنة وإحياءها. واشتهرت هذه

المدرسة في المجتمع الإسلامي الهند" بمدرسة سيد نذير حسين (ميان صاحب)" التي لا تزال حتى الآن في دلهي القديمة بجوار "مسجد فتحپوري"، وجعل يدرّس في هذه المدرسة إلى مدة طويلة الحديث والفقه والتفسير وأعدّ جماعة من المبلغين والمصلحين لنشر دعوته وإصلاحه وانتشر هؤلاء المصلحين في كل بقعة من بقاع الأرض، وأدّوا مسئولياتهم. وكانت دعوتهم إلى اتباع الكتاب والسنة.

"فكانت المدرسة تمثل أكبر الجامعات حيث كانت تتوافد إليه والبعثات الثقافية والعلمية من أرجاء الهند وأطراف العالم الإسلامي لأداء ظمئهم العلمي والديني من بحار علوم سيد نذير حسين المحدث الدهلوي". [٢١]

كما ذكرنا في الفصل الأول، إنه كان سيد نذير حسين مغرما بأعمال شاه ولي الله وبأفكاره وعواطفه وابتكاراته وشغوفا بمشاعره وانفعالاته، وكانت له مهارة بالغة في العلوم الآلية والعالية وبحمل الطبيعة المتواضعة. ولا يزال يواصل دراسة الحديث وأصوله وتدريسهما، ولم تكن له الأهداف الأخرى إلا أن يخدم القرآن والسنة ولم تتأثر به الأوضاع الهائلة العنيفة بمناسبة الثورة التحريرية وفتنتها التي هدأت في عام ١٨٥٧م وهي تعاني البلاد من معاناة القنابل والدبابات والصواريخ

---

٢١ عبد الرحمن: جهود أهل الحديث في خدمة القرآن. ص. ٢٢

ولكنه مشغول فى تدريس الحديث وقراءته ولم يشتغل عنها قط ولم يتأثر بها شيئاً.

وانتشرت ثورة ١٨٥٧م فى جميع أنحاء البلاد بسبب فقد الزعامة وخدعة الانكليز بين وخيانتهم ولكنهم اضطروا وباؤوا بالفشل فى غاياتهم غير صالحة. وبالرغم من أن كثيراً من المخاصمين رفضوا فتنه فى سنة ١٨٥٧ الميلادى، مع أنه لم يهرب من دلهى ولم تتعرض له القوة المتحاربة بل تمسك بدعوته ولا يزال قائماً فى هدفه وغرضه إلى النهاية.

وكتب سيد أحمد خان فى كتابه:

"إنه صاحب الفضل والكمال ذو أسوة الألباب والأفضال أن مولوى سيد نذير حسين فقد رحاذق فى العلوم المتداولة، خاصة فى الفقه والحديث وفاق على أقرانه، مع أن هذه القدرة الكبرى واللياقة، وهو متحمل الطبيعة، والحلم مملوء فيه، وطبقاً لسنه فانه شاب قوى، ووفقاً لبشأن طبيعته حليم. وهو رشيد فى الوضع المتين." [٢٢]

وقيل إن سيد نذير حسين قرأ كتاباً ضخماً وبسيطاً أى "الفتاوى العالمكيرية" وراجع وكرات من أوله إلى آخره لفظاً لفظاً وحرفاً حرفاً. وأحاط بكثير من الملاحظات

---

[٢٢] سيد أحمد خان: "آثار الصنادید". ط. أردو أكادمى دلهى. ١٩٩٠ص. ٩٣

الجزئية على سبيل المرافعة كأنه حفظ الكتاب كليا. و بناء على بعض من النزعات الفقهية يقول سيد نذير حسين:

"إن ظننتم على أن "الفتاوى العالمكيرية" كتاب بسيط لا يحتاج ولا يقدر بالإحاطة على جزئياتها و نكاتها، فعليكم الخيار أن تسئلوني عما تشاء صفحة من صفحة و ورقتها، ولكن أخبركم ما تريدون. ع٢٣

وكان سيد نذير حسين متضلعا من أصول الفقه، لأنه كان يتحقق من البداية في القضايا المهمة الدينية بالدلائل القطعية و يركز فيها دقة النظر و سعة الفكر وكان يشوعب في علم التفسير و ينظر بنظر غائر لكل التفاسير كالتفسير الكبير و التفسير البيضاوي، و تفسير الحداد، و تفسير معالم التنزيل، و البغوي و الكشاف و غير ذلك. بل أحاط كلا من العلوم الحديث، و الفقه و الأصول و العقائد و الكلام و الظروف السياسية و الدينية و الإجتماعية، و حاول أن يلتمس العلل البعيدة التي غذت العقلية الإسلامية، و اقتضى منه هذا التحليل أن يرجع إلى العوامل الدينية المستمدة من الإسلام إلى العناصر الداخلية على المسلمين في الهند.

ع٢٣ سيد نذير حسين: "معيار الحق". المكتبة النذيرية قصور باكستان ١٩٣٨م ص. ٩

وكيف تفاعلت هذه العوامل كلها في بوتقة الحضارة الإسلامية، فجاء بكتب جمة نادرة تحت عنوان "معيار الحق" سيأتي ذكره في الباب الثالث مفصلا و "الفتاوى النذيرية" التي نبطوا دقيم للمسائل الفقهية. و"معيار الحق" - أحسن كتاب ألف في مسئلة الإجتهاد والتقليد، وهذا الكتابان موجودان في المكتبات الهندية، وله رسائل أخرى غير موجودة. مثل "دافعة البلوى" و "واقعة الفتوى" و "ثبوت الحق الحقيق"، ورسالة في "تحلي النساء بالذهب" و "المسائل الأربعة" و "فلاح الولي باتباع النبي" و "مجموعة الفتاوى". و رسالة "في إبطال عمل المولد".

وأما الفتاوى المتفرقة التي شاعت في البلاد فلا تكاد أن تحصر، ومع هذا جمع تلميذه المحدث عبدالرحمن المباركفوري (صاحب تحفة الأحوذي) فتاواه وبعض رسائله العلمية في ثلاث مجلدات ضخمة، وقد صرح تلاميذه أنهم لو جمعوا فتاواه لبلغت أكثر من عشرة أجزاء.[٢٤]

وكان سيد نذير حسين المحدث الدهلوي من الشخصيات البارزة الذين أوذوا في سبيل الله وابتلوا بلاء حسنا غير مرة. واشتهر الناس بالاعتزال عن أهل السنة

---

[٢٤] عبدالحي: نزهة الخواطر. ص. ٥٢٦

والجماعة، وبالخروج على ولاة الهند فاعتقله الإنكليز سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وثمانمائة وألف للميلادي، فنقلوه إلى بلدة راولبندي من ولاية منجاب تقع في باكستان حاليا. فأصبح معتقلا في السجن بناء على دعايات كاذبة بأن سيد نذير حسين خالف الحكومة، ويدبر ضد الإنكليز فمكث في السجن والمحاصرة سنة كاملة. وحينما فتشت الحكومة بيته ومسجده وهاجمت، فلم توجد هناك إلا الكتابات والرسائل الصغيرة. وسئل فيها المسائل الدينية والقضايا الضرورية المتعلقة بالحياة والتعيش. فلما ارتفع الحجاب عنهم وأصبحت القضية واضحة بأنه بريئ في المحاكمة والقضاء وسلم النية فيها. ثم أطلقوه، فعاد إلى دلهي واشتغل بالدروس و الإفادة والدعوة والإرشاد كما كان يشتغل قبل ذلك. ثم إنه لما رحل إلى الحجاز سنة ثلاثمائة وألف رموه بالاعتزال والعقائد الفاسدة بأنه يقول بحلة شحم الخنزير، وبأن النكاح بالعمة والخالة جائز، وبأن الزكاة ليست في أموال التجارة. وهكذا رموه بما هو بريئ عن ذلك، فرفعوا تلك القصة إلى والي مكة فقبض عليه الوالي واستنطقه وحبسه يوما وليلة، ولم ينجح المخالفون والمعاندون أيضا في مكرهم ثم أطلق سراحه. ثم إنه لما عاد إلى الهند بدعوة فكفروه كما كفر الناس في زمن السلف كبار العلماء من الأئمة المجتهدين، والله سبحانه مجازيهم في ذلك. فإن سيد نذير حسين كان آية ظاهرة، ونعمة باهرة في التقوى والديانة

والزهد والعلم والعمل، والقناعة والعفاف والتوكل على الله، والاستغناء عن الناس، والصدق وقول الحق، والخشية من الله والمحبة له ولرسوله صلى الله عليه وسلم اتفق الناس ممن رزقه الله حظا من علم القرآن والحديث على جلالته في ذلك.[٢٥]

ويقول حسين بن منصور الأنصاري اليماني الذي يحبه مفرطا ويثني عليه و فكتب في معرض رد على سوال في حق سيد نذير حسين:

"إن الذي أعلمه وأعتقده وأتحققه في سيد الإمام والفرد الهمام سيد نذير حسين الدهلوي، أنه فرد زمانه ومسند وقته في علماء العصر الذي ساهم مساهمة كبيرة بالغة أقاليم الهند في العلم والحلم والورع. وإنه من الهادين والمرشدين إلى العمل بالكتاب والسنة والعاملين بهما. بل أجل علماء هذا العصر المحققين في أرض الهند، أكثرهم من تلامذته، واعتقاداته موافقة لعقيدة السلف الموافقة للكتاب والسنة".[٢٦] ع

ع وفي روية الشمس ما يغنيك عن زحل ع

فنع عنك قول الحاسد العذول، الأشر المخذول، فان وبال حسده راجع إليه

---

٢٥ نذير أحمد رحماني: "أهل حديث اور سياست" ص. ٢١٠

٢٦ عبد الحي: "نزهة الخواطر" ج ٨. ص. ٥٢٥

وآثل إليه. أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، فمن نال من هذا الإمام الهادى إلى السنة فقد باء بالخسران المبين وما أحسن ما قال القائل:

ألا قل لمن كان لى حاسدا

أتدرى على من أسأت الأدب

أسأت على الله فى ملكه

لأنك لم ترض لى ما وهب [٢٧]

وقد مدحه العلماء بقصائد غراء. وترجم تلميذه شمس الحق فى مقدمة غاية المقصود وترجمة حافلة، وأفرد لترجمته فضل حسين المظفرفورى كتابه "الحياة بعد المماة" وهو كتاب حافل لأخباره فى اللغة الأردية.

---

[٢٧] لوشهروى: "تراجم علماء أهل حديث". ص. ١٥٧

الباب الثانى

فى

الحركات الإصلاحية في القرن التاسع عشر وأثرها على سيد نذير حسين

الفصل الأول:

الحركة الاصلاحية الديوبندية

الفصل الثاني:

حركةسيدأحمدخان والحركات الاصلاحية الأخرى

الفصل الثالث:

ظهور حركة أهل الحديث

الفصل الأول

الحركة الاصلاحية الديوبندية

أدرك بعض أصحاب شاه ولى الله الدهلوى حاجة الإصلاح والإرشاد فى هذا القرن بأن يبدو لهم أن الطبقات الراشدة الأخرى لم تكن نشيطة فى الشئون الدينية الاصلاحية، فإنها انقسمت إلى جهتين جديدتين بوجه خاص أحدهما توجهت عنايتها تجاه دراسة الفقه وكتابة الفتاوى حول قضايا عامة المسلمين، فبهذه المناسبة انها انفصلت عن خطوط النقشبندية والمجددية وبذلت جهودها فى تصفية النفس فقط. وكانت الجهة الثانية أكثرها تمثيلية اهتمت بالتمرد العسكرى فى الامبراطورية القديمة، يعتبره عملاً إسلامياً عن طريق الجهاد، ولكنها باءت بالفشل فى هذا المجال.

أما السابقة فهى كانت شائعة معروفة ليست لأسرة شاه ولى الله فحسب، بل لجميع فرق من العلماء لهذا القرن. وكانت فكرة ولى الله الدهلوى مبنية على الكتاب والسنة وتطورت بعد وفاة شاه ولى الله كمصدر أساسى وتناولت هذه الفكرة بعد كبير من المسلمين لإنشاء المعاهد الدينية. وانبثقت هذه الفكرة انبثاقاً واسعاً وفرعت منها حركات إصلاحية كثيرة.

فإن الذين كانوا يدرسون فى مدينة دلهى عام ١٨٤٠م، منهم محمد قاسم النانوتوى (١٨٣٣ - ١٨٧٧م) الذى ساهم مساهمة كبيرة فى حركة الإصلاح، و رشيد أحمد كنكوهى (١٨٢٩ - ١٩٠٥)، كانا يريدان إقامة المجمع العلمى فى مدينة ديوبند

بعد أن فشلت الثورة ١٨٥٧م. وكان الرجل الثالث وهو الحاج إمداد الله (١٨١٥م ١٨٩٩م) الذي أصبح صوفيا بارزا، هاجر إلى مكة المكرمة وعاش بها وتأثر به عظم العلماء البارزين. ولخص هؤلاء الرجال الثلاثة همتهم المبكرة خلفة كثير من العلماء في هذا العصر، وكان كل واحد منهم ينتمون إلى البلاد المجاورة ومكثوا في مدينة دلهي مدة طويلة. ثم رجعوا إلى قراهم بسبب مسئولياتهم الدينية، وتشاركت عائلة محمد قاسم النانوتوي منزلة مديدة في شئون علماء دلهي ولبث بها واستفاد من مولوي فرهاب علي والشيخ زلال أحمد، ثم تلمذ على الحاج إمداد الله في الأعمال الذاكرة الدينية، واعترفه الزعيم الديني والسياسي وجعل إمداد الله مرشده الروحاني حتى بايع على يده.[٣٨]

وفي هذه الأعوام المبكرة لعب محمد قاسم دور الشيطا بارزا في مجال الإصلاح والتقويم ولاسيما في الأعمال المهمة للنشر والطباعة. وفي سنة ١٨٥٠ الميلادية حصل على وظيفة في المطبعة الأحمدية، وهي مركز الطباعة الرائدة لمولانا محمد علي اسمها نفوري، التي قدم تأسيسها قبل خمس سنوات للنشر والتوزيع من مجموعات الأعمال في خدمة الحديث وتعليمه لشاه ولي الله وأبناءه.

---

٣٨ METCALF: ISLAMIC REVIVAL IN BRITISH INDIA. P. 48

أما أسرة رشيد أحمد كنكوهي فكانت لها أواصر وطيدة مع علماء دلهي إلى مدة طويلة ودرس أبوه على عائلة شاه ولي الله وشرب الأعمال الروحانية من الشيخ غلام علي المجددي النقشبندي؛ وهو عالم بارز وصوفي ممتاز في زمنه.

ولقي رشيد أحمد بقاسم النانوتوي في دلهي واشتغل بالأعمال الإصلاحية مع علماء هما البارعين.

ولم يدرس إمداد الله إلا قليلا مثل ما حصل أصحابه على العلم، وسافر إلى دلهي بعد ما حثه مملوك على النانوتوي، وهو كان يحرص على التصوف، فانتهز له فرصة غالية أن يأخذ الطريقة الصوفية من الشيخ نصير الدين الدهلوي وهو ابن شاه رفيع الدين الدهلوي خليفة سيد أحمد البريلوي الشهيد في الجهاد.

وبعد جهد جهيد تيسر لهم أن يعدّ وا برامجا إصلاحية لأداء مهماتهم الشهيرة في ضوء توجيهات السيد أحمد الشهيد. وأصبحوا نظيرا في الطريقة الصوفية في جميع أرجاء البلاد هيناك، وخاصة بعد ما حدثت كارثة ١٨٥٧م ولا يمكن للمصلحين أن يختاروا نفس السبيل الذي اختاره سيد أحمد البريلوي، وكانت تساعد حميته في نشر تأويلاته الأصلية الذائعة للقانون. وصاروا له الوارثين الدائمين.[٢٩]

---

[٢٩] محمد ميان: "علماء هند كا شاندار ماضي". المكتبة الرحيمية ديوبند. ١٩٨٨ ص. ١٧٧

تأسيس مدرسة ديوبند وحركتها الاصلاحية:

بدأ محمد قاسم النانوتوى ورفقاءه يتأملون فى الفوائى التى للأوضاع الراهنة، واجتمعوا على إقامة سلسلة من المعاهد التعليمية الدينية فى مختلف المناطق فى آن واحد، وقرروا إنشاء أول معهد من هذا النوع فى بلدة متواضعة بدلا من مدينة كبيرة، ووقع الخيار لذلك على مدينة ديوبند، وتنفيذا لقراهم وضع حجر أساس مدرسة فى مدينة ديوبند فى ١٥ محرم (١٢٨٣هـ - ١٨٦٦م)، سميت أولا بالمدرسة الإسلامية، وكانت تعرف بأم المدارس فى مشارق الأرض ومغاربها، وبإضافة هذه المدرسة رد هؤلاء العلماء دندانا سكتا على الخطة التعليمية التى رسمها الإستعمار الإنكليزى لهدف إنشاء جيل فى الهند، يكون هندى العرق واللون وأوربى الفكر والذهن حيث كان غرضهم من التعليم ايجاد جيل يكون لونه وعنصره هنديا وينور قلبه وعقله بنور الإسلام ويموج نفسه بالعواطف الاسلامية ثقافة وحضارة وسياسة ثم أقيمت مدارس أخرى عديدة على غرار مدرسة ديوبند فى مختلف المناطق.

ومن جهة أخرى قام الحكام الانكليز بتشجيع العديد من الحركات السياسية والدينية على إضلال المسلمين الهنود وكانت فى مقدمتها "حركة آريه سماج" "القاديانية" المتعصبة التى كانت قد شنت دعاية ضد المبادئ الأساسية للعقيدة الإسلامية

ولولا هذه المدرسة "دار العلوم" وعلماءها المخلصون وجهودهم المتفانية للحفاظ على دينهم لشكلاً ورسماً لكانت تلك الحركات تبحث في تشويه الإسلام والنيل من عقيدة المسلمين، فالفضل في التصدي لهذا الخطر والرد عنه أيضا يعود إلى العلماء القائمين على دار العلوم في ديوبند والمدارس الأخرى التي كانت أنشئت على غرارها.

وانتشطت هذه الحركة الديوبندية في الهند بتأسيس هذه المدرسة وهي من التراث الشيخ ولي الله، وأيدت الحنفية تأييدا مؤكدا، واكتفى علماءها بخدمة الحنفية أيضا.

وكان أبناء شاه ولي الله وتلاميذه، أملة أفكاره وناشري علومه ودعوته انه كان فيهم من ينتسب إلى الحنفية، مع تمسك بمبادئ دعوة شاه ولي الله، وكان لكل واحد منهما جهود طيبة ودور بارز في حركة الجهاد، وبدأ بعضهم أن يشتركوا في صفوف المجاهدين، وبعضهم اقتصروا جهودهم في نشر الفقه والحديث، وفي هذا الجو تم إنشاء مدرسة ديوبند على أيدي العلماء البارعين الحنفية وصارت المدرسة مركزا كبيرا لنشر الكتاب والسنة والتصوف والمسلك الحنفي بشكل خاص. ولاشك أن الأهداف التي كانت تهدف إليها هذه المدرسة وأعضائها قد تحت بأكمل وجه. ع٣٠

ع٣٠ عطاء الرحمن القاسمي: "الواح الصنادبد" ج١، فولانا أبو الكلام آزاد الكبير دلهي ١٩٩٠ ص. ١٨٦

المذهب الحنفي وانتشاره:

وكان مؤسسوا هذه المدرسة لقرب عهدهم بركة شاه ولي الله وتلمذهم على شاه محمد إسحاق قد مرنوا بإحترام المحدثين.

"إن المنهج السائد في دار العلوم والمدارس الأخرى في تنقيح أقوال الحنفية وتخريجها وإثباتها وتوضيحها، يبدأ من الشيخ محمد قاسم النانوتوي، وقد كانوا قبل ذلك يكتفون بترجمة الأحاديث وذكر كل المذاهب الفقهية على حدة، ولم تكن طريقة إثبات الحنفية وترجيحها رائجة من قبل، وجرى بعده على هذه الطريقة من تلاميذه الشيخ محمود الحسن (شيخ الهند)". [٣١]

ونظرا إلى أن علماء مدرسة ديوبند شمروا عن ساق الجد لخدمة الفقه الحنفي وإحياء السنة له بطريقة التدريس والتأليف وإقامة المدارس في أقطار شبه القارة الهندية، وأثبتوا إدعاءهم بأنهم ورثة شاه ولي الله الدهلوي ونشروا أفكاره وعلومه. فإنه كان يدعوا إلى الإنطلاق الفكري والحرية في الفهم وسعة النظر والاجتناب عن الجمود والتعصب وكان يسعى لتقريب الظاهرية والحنفية ويدعو الناس إلى اختيار طريق الفقهاء والمحدثين في العقيدة والعمل وانتشت

---

[٣١] سيد محبوب رضوي: "تاريخ ديوبند". ص ١٢٩

مدرسة دار العلوم وأكبرها لتأييد هذا المنهج الفكري وتمثيله.

أما فيما يتعلق بأهداف المدرسة فإنها تهدف منذ انشائها إلى الاحتفاظ بالعقيدة الإسلامية واستعادة المجد الإسلامي وبناء المجتمع على أساس الكتاب والسنة وبث التوعية الإسلامية واشتعال روح الغيرة الدينية والحماسة الاسلامية في المسلمين ودحض كل نوع من التقاليد الغير الاسلامية والعودة بالأمة إلى تعاليم الكتاب والسنة وإزالة الزوائد عن طريق التعليم والإرشاد الديني.

والحقيقة أن حسب تصريحاتهم تدور خدماتهم الدينية حول تأييد المسلك الحنفي ودعمه بدلائل السنة والإجماع والقياس والآثار والاستنباط، وتشهد لهذا الصنيع مؤلفاتهم في شروح كتب الحديث والحواشي عليها.

ومما يدل على مدى الخدمات الجليلة التي كانت لا تزال تقوم بها دار العلوم بوصفها معسكرا منيعا للإسلام بدون أن تتباهى بأعمالها أو تتفاخر بخدماتها أو تشترط في الدعاية من أي نوع، وإن عددا كبيرا من تخرجوا منها ومنهم من أقبلوا على هذا المنهل العلمي من البلدان الخارجية مثل افغانستان وروسيا والصين وآسترليا والبلاد العربية وغير ذلك من البلدان.

أما المؤلفات التي صدرت عن دار العلوم المختلفة من التفسير والحديث والفقه والأدب باللغتين العربية والأردية فيبلغ عددها عدة آلاف، وهذه المؤلفات

مطبوعة منشورة فى علوم الحديث وغيرها بغض النظر عن تمثيلها مدرسة ديوبند وحركتها، نجد فيها من حيث المباحث الأخرى التى تتعلق لشرح الأحاديث وضبط الكلمات وشرحها، وذكر الأقوال والمذاهب من الأمور ما يثلج الصدور ويطمئن إليه القلب، وهذا يدل على سعة اطلاع مؤلفيها وتبحرهم فى العلوم والفنون.[٣٢]

ونظرا للظروف والأوضاع الخاصة التى كانت تواجه شعبا خطرا للعقيدة والإيمان والتى اقتضت إقامة مدرسة ديوبند لتكون حصنا منيعا ومركزا قويا لصيانة شرف المجموعة المسلمة فى هذا الإقليم من العالم ووقايتها من أعاصير الإلحاد والشرك، وضع مؤسسوها منهجا دراسيا ينطوى على ما يكفل بتحقيق هذا الهدف الإسمى للحفاظ على هياكل الإسلام فى الهند إما بوجه مباشر وغير مباشر، ذلك مع التركيز على الإعتناء بالتفسير والحديث والفقه، ويحتوى المنهج الدراسى كذلك على علوم أخرى مثل المنطق والكلام ولكنها ليست مقصودة بذاتها بل تدرس باعتبارها علوما مساعدة فى فهم العلوم الدينية وصقل أذهان الطلبة وأعدادهم للبحث والمناقشة والرد على من يوجهون النقد والإعتراض إلى الإسلام ردا علميا منطقيا مقنعا. وإن المنهج التعليمى للمدرسة يشتمل فى الواقع

---

٣٢ الداعى: مجلة عربية إسلامية شهرية. عدد / ٩. سبتمبر-اكتوبر ١٩٩٢م ص. ٣٦-٣٤

على معظم ما يدرس من مواد عديدة في كليات الشريعة الإسلامية وكليات أصول الدين والدراسات العليا في الجامعات العربية.

أما فيما يتعلق بالأدب العربي فقد درس فختارات منه نثرا ونظما من المستوى العالي. وقد صنف علماء هذه المدرسة كتبا يعد بالألوف على موضوعات التفسير والحديث وأصول الفقه والفرائض وفلسفة، والتوحيد والكلام ومجموعات ضخمة من الفتاوى بثلاث لغات وهي العربية والأردية والفارسية. ولا تقل كذلك آثارهم الأدبية المتمثلة في النثر والنظم والمقالات والتراجم والحواشي والتقاريظ والمعاجم وكتب الصرف والنحو. وفي الوقت الذي قام فيه العديد من الكتاب والباحثين بتأليف كتب أبرزوا فيها الآثار العلمية لعلماء المدرسة في الموضوعات الدينية المختلفة لم ينتبه أحد منهم بعده إلى ضرورة البحث في آثارهم الأدبية.[٣٣]

وبالجملة:

فان هذه الحركة الديوبندية الإصلاحية المؤسسة في القرن التاسع عشر تطورت مع التغيرات في بعض القضايا وتقديمها ضد فكرة شاه ولي التي أنها هي غصن من أغصان فكرته، فهي بذلك تجهودها في اصلاحات الأوضاع السياسية والاجتماعية

---

[٣٣] زبير أحمد الفاروقي: "مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي". ص. ٢٢

والدينية إتجهت إليها بعناية خاصة، وساهمت في الثورة التحريرية الحادثة في عام ١٨٥٧م مساهمة كبيرة، وقد حرمت الفتاوى للجهاد ضد الحكومة الإنكليزية، ولكنها لم تنقرض من لجام التقليد للأئمة ورجال الفقه. ولذلك تأثرت هذه الحركة من إصلاحات حركة أهل الحديث وفكرتها المتشددة بأن لا حاجة إلى تقليد لشخص معلوم ولا علاقة للاجماع والقياس بالأمور الدينية حيث يقابلان الكتاب والسنة.

وبالعكس من ذلك، سيد نذير حسين المحدث فهو متفق على كل المجالات التعليمية و الإصلاحات الإجتماعية والدينية ولكنه يقرر هذه الفكرة كجمود الفقهي والتعصب المذهبي — مع أهل الحديث ونفوراً عن الكتاب والسنة، فأخذ يدعو الناس إلى الإعتصام بالقرآن والحديث، وقاوم بتأثيرات هذه الحركة الديوبندية وفكرتها، وتأمل بأن يحرر الأمة المسلمة من هذا الجمود، وأن يقوم بنشر أفكاره وإلى الله الواسعة من حيث الكتاب والسنة والرجوع في كل مسئلة إلى الحديث النبوي ﷺ، فقام بإحياء حركته السلفية باسم حركة أهل الحديث، فهي ازدهرت في زمن سيد نذير حسين المحدث الدهلوي وأصبح — مؤسسها بعد أن ظلت جامدة وراكدة.

الفصل الثانى

حركة سيد أحمد خان

والحركات الاصلاحية الأخرى

هو السيد أحمد خان ابن السيد متقى خان ولد فى سنة ١٨١٧م وتوفى والده فى التاسعة عشرة من عمره، بعد أن تثقف ثقافة دينية على عادة أهل زمانه، وقد جرت أسرته على عادة التخرج من اتصال بالإنكليز وخدمتهم ولكنه خالف السيد أحمد أهل بيته والتحق بخدمة الحكومة أمينا للسجلات فى القلم الجنائى فى دلهى. ورأى أن الإنكليز خصوم السادات المعروفين، يمكن التفاهم معهم وأخذ أشياء من أيديهم تدريجيا لمصلحة الأمة. حتى إذا نضجت الأمة أمكنها الحصول على حقوقها كاملة. حيث لا تستطيع أن تنال شيئا منها مع الجهل والغفلة. ولما كان على منصبه منضما فى مدينة "بجنور"، وإذ هو فى هذا العمل. فى هذه المدينة اندلعت نار الثورة فى سنة ١٨٥٧م، وقام الهنود حركة عنيفة يخربون المستعمرات والمبانى ويقتلون الإنكليز هنيا وهبدوهم، ويدمرون ما وصلت إليه أيديهم، وهاج الرأى العام على الإنكليز هياجا شديدا. ولكن كان رأى السيد أحمد هادئا متزنا مخالفا للرأى العام فرأى أن هذه الثورة لا تأتى بنتيجة، وأن النتيجة بعودة الإنكليز إلى السيطرة مرة ثانية من غير فائدة. وأن قتل الإنكليز عمل غير انسانى. ولذلك وضع خطة الجهد مع بعض أصدقائه لمنع الإنكليز من القتل والدمار، فنجا على يده وبيد أصدقائه كثير. فلما هدأت الثورة عرف الإنكليز فضله، وحفظوا له. ومن ذلك الحين تأكدت الصلة بينه وبين الإنكليز. فبدأ أعمال الإصلاح فى الشعب

الهندى.

ولم يعجب السيد أحمد خان هذا كله، وتساءل فى حزم: فما علة هذا الجهل وضيق العقل والفقر وسوء الحال؟ وأجاب فى حماسة: إنه التربية. ومن ذلك الحين ابتدأ يضع مذهبه التربية التى يريدها. وصادف ذلك أن ثورة سنة ١٨٥٧م كشفت لعقلاء المسلمين فى الهند حالهم ووجوب تغيير موقفهم وشعورهم بتخلفهم عن الطوائف الأخرى فتناغم تفكير "السيد أحمد خان" واستعداد الرأى العام المتنور فانتهى هذا التناغم حركة إصلاح تعد نقطة تحول فى تاريخ المسلمين فى الهند.

وقال فى خطاباته:

"أنظروا إلى انكلترا، لقد كانت ثروتها تتمشى يوما بعد يوم مع تربيتها، كلما زادت تربيتها زادت ثروتها، وقد كانت قبل قرن عوائق التى تعوق التربية أكثر مما عندنا، ولم يكن لها إذ ذاك سكك حديدية ولا آلات ميكانيكية للطباعة وإنما كان لها سعة نظر وقوة إرادة. ٣٤

وأول ما بدأ به فكرته فى التربية إنشاء جمعية أدبية علمية فى علي گڑھ

---

٣٤ نظير حسين: "علي گڑھ تحريك". انجمن ترقى اردو دہلى ١٩٩٣. ص. ٤٥-٤٦

وكان الغرض منها إشاعة الآراء الحديثة في التاريخ والاقتصاد والعلوم، وترجمة أهم الكتب الإنكليزية إلى اللغة الأردية. وكان يرى أن تعلم هذه العلوم باللغة الانكليزية لا يكفي إلا لعدد قليل من المثقفين، إنما الذي يفيد فائدة كبرى نقل هذه العلوم إلى لغة البلاد حتى يشترك في تفهمها والإستفادة منها عدد كبير. ولذلك نقل هذه الكتب الهامة من اللغة الإنكليزية إلى اللغة الأردية، ولم يمنعه إعجابه بالإنكليز ولغتهم وثقافتهم من أن يكون صلبا حازما شديدا في طلبه نقل الكتب الانكليزية للشعب.

ولكن سرعان ما هاج عليه الرجعيون من رجال الدين، يتهمونه بإفساد العقول وإفساد الدين وإفساد الوطنية، واشتبك في حرب عوان معهم انتهت بانتصاره بوضعه الحجر الأساسي لكلية فكتوريا بغازي فور.

وسافر إلى انكلترا وقابل كثيرا من عظمائها، ولفت نظره تربية الانكليز للشعب أكثر مما لفت نظره إلى تربيتهم وخاصة المتعلمين.

يجب تغيير كل ذلك، ووضع منهج لمسلمي الهند غير المنهج الذي يسيرون عليه. عاد السيد أحمد من انكلترا وهو عاقد العزم على إصلاح حال المسلمين في الهند عقلا ودينا ولغة وخلقا واجتماعا، سواء في ذلك خاصتهم وعامتهم، مصمم على أن يغزو الجهل والجمود بكل ما يستطيع من قوة، وأن يحمل المسلمين بكل الوسائل

على أن يقبلوا المدنية الحديثة في علومها وفنونها قبولا حسنا، ويستخدموها في ترقية حياتهم؛ وأن يبذل الجهد في التوفيق بين الإسلام والمدنية الحديثة... فالإسلام في جوهره وأصله معقول واسع الصدر للأحكام العقل غير مناهض لما ينبثه العلم، فاذا اتفق مما تحققه، وأن يقبل المسلمون على العلم الحديث في غير تحرج"[٣٥]

"وجعل من أول خططه بعد عودته أن ينشئ في الهند جامعة تكون للمسلمين تربي الخاصة، ثم هم يربون العامة؛ وما زال يكد ويسعى ويجمع المال ويبذل قصارى جهوده في سبيله حتى أخيرا فاز بإنشاء كلية في علي گڑھ المشهورة وعين لها ثلاثة أهداف:

١- أن تعلم المسلمين الثقافة الغربية والشرقية في غير تعصب ولا جمود.

٢- أن تعنى بنحا بحياة الطلبة الإجتماعية، فينجدوا منها سكنا يقيهم من شرور المدن ومفاسدها، فيطمئن الآباء حين يرسلون أبناءهم إليها- إلى أنهم في بيئة صالحة لخلقهم،

---

٣٥. SHAN MOHAMMAD: SUCCESSORS OF SAYED AHMAD KHAN. IDARA ADABIAT DELHI 1981. P. 16-17.

مرضية لآرائهم.

٣- أن يعنى فى نظام الكلية بتربية العقل وتربية البدن وتهذيب الخلق معا، وبعبارة أخرى يكون الغرض منها — "التربية" لا التعليم فقط."[٣٦]

فلما فرغ من تأسيس هذه الكلية أخذ يعمل فى اتجاه آخر، فأنشأ مجلة دورية سماها "تهذيب الاخلاق" عالج فيها المشاكل الاجتماعية والدينية فى جرأة وصراحة، وأخذ يفسر القرآن، ويدعوا إلى فهم القرآن صحيحا وإذا اتفق مع العقل وأن النظر الصحيح يوجب الإعتماد على روحه أكثر من الإعتماد على رفيته، وأنه يجب أن يفسر على ضوء العقل والضمير.

ثم كانت له فكرة عظيمة نافعة، وهى أن يجمع مؤتمرا كل عام يجتمع فيه قادة المسلمين من الأقاليم الهندية المختلفة كل عام فى مدينة، يلقون فيه الخطب و المحاضرات النافعة عن الشئون الإسلامية وأمراض المسلمين وعلاجها ويصدرون القرارات التى يرونها نافعة فى ذلك. وكان الغرض الذى يرمى إليه أى السيد أحمد من بث روح الإئتلاف بين المسلمين فى البلاد الهندية، وتبادل الآراء فى

---

٣٦ عبد الحى الحسنى: "نزهة الخواطر" ج/ ٨. ص. ٣٨ - ٣٩.

غير الوسائل لترغيبهم، والتعاون على الأعمال المفيدة من إنشاء المدارس أو النهوض بها أو نحو ذلك. وقد نفذت الفكرة ثم استمر يجتمع حياته برئاسة بعض أصحابه وأتباعه. وهو يقول:

"إن النور اليوم يأتي من الغرب بعد أن كان يشرق من الشرق فيجب أن نأخذ من أوربه علومها ومدنيتها، ونسير مع الزمان في مضمار الحياة العصرية، وذلك لا يُفقد المسلمون شخصيتهم ودينهم، إنما يفقدهم ذلك الجهل لا العلم، وإن التعليم كان في الزمن الماضي دينيا محضا لا يعبأ بالدنيا وما فيها وقد نطرف في الأولى وأخل بالثانية، فنبتغي الجمع بين الدين والدنيا." [٣٧]

فقد رأى مسلمو الهند ناشئة جديدة عاملة بفكرة مهذبة تصلح للحياة و إن كلية على غراره تنتج في البلاد حركة فكرية بديعة، وتؤلف الكتب النفيسة في أسلوب جديد، وأخذت الحياة تدب في عروق المسلمين بعد خمودها، واتضح أن السيد أحمد خان مصدر نعمة وبركة، وإن اختلفوا معه في بعض آرائه.

ثم كانت له خطوة أخرى للإصلاح في اللغة الأردية، لقد كانت هذه اللغة

---

٣٧. METCALF: ISLAMIC REVIVAL IN BRITISH INDIA. P. 326.

قبله كاللغة العربية في عهد الظلام فكانت مجموعة عشق وغرام ومديح، فنظمها إلى آفاق واسعة، واستخدمها في موضوعاتها المختلفة من السياسة والاجتماع والأخلاق والتاريخ والأدب وكل ذلك في أسلوب متين مع القوة والسلاسة والسعة و غزير المعنى وخال من التصنع. ثم اعتنى بهذه اللغة وأدبها، ونقل كثيرا من غير الآداب الأجنبية إليها. وكان له رأي بديع في الترجمة إلى اللغة الأردية وهو بالترجمة الحرفية عدم التقليد في الترجمة، ويرى أن هذا أسلوب واه ضعيف. وإنما الواجب أخذ الأفكار وعرضها عرضا جديدا بطريقة تتفق ذوق الجمهور وتلائم أفكارهم و لم تكن اللغة الأردية تشتمل على مصطلحات علمية، فحاول وضع مصطلحات اللغة الأردية التي تتناسب مع العلم وسار على هذا المنهج طلبته. ع٣٨

الحركة الفرائضية:

برزت الحركة الفرائضية للإصلاح حوالي سنة ١٨٢٠م وهي كانت حركة استقلالية. وكان مؤسسها الحاج شريعة الله (١٧٨١ - ١٨٤٠م) نزل في مدينة فريدفور "سنغال" بعد أن قضى سنتين في الحجاز. وإنه قصد إلى الحج مرة ثانية، ورجع ثم بدأ

ع٣٨ عطاء الرحمٰن، "الواح الصنادید" مولانا أبو الكلام أزاد اكادمي دہلی ١٩٩٠. ص. ٥٤.

التبليغ والإصلاح فى سنة ١٨٢١م، وقد أثر مراكز الإصلاح الدينية أثرا بالغا فى علمائها وصلحيها. وكان المجتمع الإسلامى كله فى أسوأ حالة وقد تم الاحتلال عليه من الأجانب، وكانت هذه الحركة كحركة سيد أحمد البريلوى فى الهند وكحركة محمد بن عبد الوهاب فى الحجاز ويسمى لها أيضا "حركة كتابية" أى ما أخوذه من الكتاب والسنة، وهذه الحركة كانت تعتقد بالعقائد الصحيحة وتكره الاعتقادات الباطلة المشهورة. وتوجهت هذه الحركة عنايتها إلى المجتمع الإسلامى وإصلاحه. وتعرف ب "الحركة الفرائضية" لأنها كانت تلتزم على الفرائض الدينية الأساسية للإسلام[٣٩]

حركة ندوة العلماء:

أسست فى عام ١٨٩٤م جمعية باسم ندوة العلماء بمدينة لكناؤ وكان مؤسسوها مولانا شبلى النعمانى، ومولانا محمد على المونغيرى ورجال الدين الإسلامى الآخرون. وقد برزت فكرة ندوة العلماء فى ١٨٩٣م، بعد نشوب الخلافات بين المسلمين فى اجتماع لهم بمدينة كان فور، وكان الهدف من هذه الندوة إزالة الخلافات بين رجال الدين المسلمين فى الهند، ووضع برنامج تعليمى لتمكين المتخرجين

---

٣٩ MOINUDDIN AHMAD: "A HISTORY OF THE FRAIDI MOVEMENT IN BENGAL. KARACHI. 1987. P. 11

في العلوم العربية من الدراسة في العلوم الحديثة أيضا فأنشئت مدرسة باسم "دار العلوم ندوة العلماء" بمدينة لكناؤ. ع٤

ع٤ عبد الحق: الدراسات العربية في الجامعات الهندية. ص. ١٤

وبالجملة : كان القرن التاسع عشر قرن الحركات الإصلاحية، وكانت تسعى كل هذه الحركات التي ذكرناها لإصلاح الأمة المسلمة في الهند، واعتنى المصلحون والمفكرون عناية خاصة إلى إصلاحات سياسية واجتماعية وتحولت استباه الناس إلى العلوم الجديدة، وركز سيد أحمد خان إهتمامه على علوم جديدة تركيزا بالغا ونجح في غرضه إلى حد كبير.

وأثرت هذه الحركات الإصلاحية أثرا كبيرا على سيد نذير حسين من حيث الإصلاح الديني بشكل خاص، ويبدو أنه رأى أن سبب تخلف المسلمين يرجع إلى التزامهم بالتقليد الجامد وحتى أن هذه الحركات لا تغني من اخراج المسلمين من هذا التقليد. وكذلك رأى أن علماء المسلمين يهتمون بالفقه ولا يهتمون بالسنة، ولذلك بذل جهوده في نشر الحديث وتعليمه، فاختار منهج المحدثين في العمل بالسنة، وامتنعت طبيعته عن الجمود والتقليد لشخص معلوم، فزاد اهتمامه واشتغاله بالسنة وقصر همته على نشرها بالدرس والتأليف بكل جد ونشاط وإخلاص.

الفصل الثالث

ظهور حركة أهل الحديث

ظهرت حركة أهل الحديث لأول مرة بعد انحطاط الدولة المظفرية بولاية غوجرات في الهند، ولعب علماؤها دورا بارزا هاما في نشرها وحمايتها ورعايته أهلها وطارحيها في أنحاء البلاد، فيتبادر إليها أهل العلم من كل ناحية من نواحي البلاد، حتى تتابع وفود العلماء من خارج الهند. وكانت حركة الحديث والسنة قوية في البلاد العربية آنذاك. وتخرج منها عدد كبير من علماء الهند والعرب ويرجع إلى هذه الحركة فضل تجديد علوم السنة في بلاد الهند، فإن تلاميذها قصدوا إلى أرجاء الهند وركزوا اهتمامهم على خدمة الكتاب والسنة، وكثرت رحلات أهل العلم من الهند إلى الحرمين التي كان لها أثر طيب في تجديد السنة. ثم انتقل علم الحديث من غوجرات إلى منطقة دلهي.

واليقظة الدينية التي ظهرت من دعوة المجدد السرهندي والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، قد خفيت آثارها واندرست، وتسربت الأوهام والمنكرات إلى صفوف المسلمين، وراج التصوف وأعمال المحدثات والخرافات التي تفضي إلى الزندقة والإلحاد. وإن الجمود الفقهي والتعصب الديني على عقول الفقهاء الذين شغلتهم التدقيقات الفقهية، والمناقشات الكلامية وعلوم اليونان عن الاشتغال بعلوم الكتاب والسنة. فلم يكن من السهل الميسور إحياء تلك الحركة التجديدية التي بذر بذرتها الأولى الإمام السرهندي، ولكن تغيرت

الأوضاع و انقلبت الموازين بظهور شاه ولى الله المحدث الدهلوى الذى رتب منهاجا جديدا للدعوة و الإصلاح وكان هذا الرجوع إلى دين السلف، وقصر همته على نشر أفكاره و إحياء السنة وكان هذا تحولا عظيما فى حياته، وقد اختار لنشر أفكاره طرق التدريس والتاليف والدعوة و الإرشاد، وقد استفاد من دروسه و تواليفه خلق كثير نشطوا بعده لنشر أفكاره و بثوا الروح الإسلامى و دعوة الرجوع إلى دين السلف. ٤١

شاه ولى الله وحركة أهل الحديث :

ومن المعروف كان بروز دعوة شاه ولى الله الدهلوى فى القرن الثانى عشر الهلادى واهتمامه بإحياء السنة على طريقة السلف. وكان شاه ولى الله من العلماء المجتهدين الذين جددوا علوم الدين وشيدوا أركان العلم و دفعوا الفساد عن الأرض ولشاه ولى الله أثر قوية فى تقدير الرجال وهى إن أعظم الرجال وأفضلهم المصلحون اللذين يوجهون عزائمهم إلى رفع الأمة من الدرجة السفلى إلى الدرجة العليا، وهو يقول عن أسباب الضعف للإسلام :

---

٤١ عبد الرحمن "الجهود مخلصة فى خدمة السنة". ص. ٦٠ - ٦٢. وأيضا: سبا لكوتى: تاريخ أهل حديث ص. ٤٥.

إن أسباب الضعف ليس مصدرها الإسلام بل الإسلام
لا يزال على نقائه وإنما سببها المسلمون أنفسهم الذين
تخلفوا عن دينهم وإنه دافع عن الإسلام أشرف دفاع و
هاجم الأنظمة والأفكار الإنكليزية، فكانت له مواقف قوية
رائعة خاصة للدفاع عن الإسلام. [٤٢]

وتختلف آراء العلماء في موقف شاه ولي الله الدهلوي، إما هو يتعلق بأهل الحديث أو بالحنفية، فيجره الحنفية إلى الحنفية ويضيف السلفيون إلى السلفية ولكن الأحسن أن نتأمل إلى أعماله وإصلاحاته فإنه يركز نفسه على دراسة الحديث وعلمه، وكذلك يبدوا لبدراسة عميقة لكتب المسالك الأربعة وكتب أصول الفقه والأحاديث التي تعتصم بها راستقر في القلب بتوفيق من الله وهدايته إلى طريقة الفقهاء المحدثين. ومع هذه الصراحة لا يرى من البأس انتسابه إلى الحنفية أو السلفية ببتباث، كما أنه قام بأكثر من الأعمال التي هي على طريقة الأحناف عامة، وفي بعض الأحيان إنه يؤيد الثائرين بالجهر خلف الإمام، الذي هو عمل أصلي

[٤٢] عبد الحي: "الثقافة الإسلامية في الهند" دار عرفات رائبريلي. ١٩٧٩م ص. ١٠٥

لمذهب أهل الحديث.

وكانت الغايات والأهداف لهذه الحركة إلى أن يلفق بين المذاهب الأربعة ومذهب الفقهاء المحدثين، لا تكون منها الظاهرية التي تشين النصوص وتبعد عنها الفصاحة والبلاغة عهدناها لدى النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ولا الإهتمام البالغ بالقياس والرأي بحيث يتحكم في النصوص تدقيق العلماء وتفريعهم ولا يبقى لها معنى واضحا كما نرى لدى الفقهاء المتأخرين الذين انشأوا قصرا لبدر الدين لهيث عجز المتقدمون.

وكذلك إهتم أصحاب هذه الحركة بعدم قبول المواقف الظاهرية، فوجهوا انتقادهم إلى قواعد الفقه وأصوله التي يترتب عليها رفض الحديث وانكاره، مثل الخاص واضح فلا يلحقه البيان، والعام القطعي كالخاص والمفهوم المخالف غير معتبر. نرى أن سيد نذير حسين بين الأحناف والشافعية وأهل الحديث في بولغاته القيمة، وفي الحقيقة، هذا البحث سيأتي في الباب الثالث مفصلا في ضوء كتاباته وتركيزه على الفقه والحديث. [٤٣]

[٤٣] نوشهروي: "علماء أهل حديث كي تصنيفي خدمات" ص. ١٤٥

أبناء شاه ولي الله وحركة أهل الحديث:

ثم انتقلت زمة هذه الحركة إلى أبناء شاه ولي الله وتلامذهم الذين ساهموا في حركة إحياء السنة النبوية.

تخرج منهما علماء ودعاة وأئمة، قاموا بنشر دعوته وإصلاحاته والأخص بالذكر منهم أبناء الأربعة الذين رفعوا لواء السنة والتوحيد بعده. وعكف أبناء شاه ولي الله الدهلوي على مسند أبيه في المدرسة الرحيمية، ونشطوا لنشر آراءه وأفكاره فصارت المدرسة أكبر جامعة الهند، تبادر إليها طلاب العلم من أرجاء البلاد وقد تخرج على هؤلاء علماء كبار قاموا بدور التجديد والإصلاح في المجتمع ونشروا السنة وأحيوها. وقد انتشرت هذه الدعوة في الهند. وكان تيارها الفكري والعلمي والديني على أساس قوي بحيث لم تهنه التحولات السياسية الهندية. وكانت من غاياتها تصفية الإسلام عن التوهمات المخترعة والخرافات المنكرة ودعوة الناس إلى اتباع منهج السلف في مجال العلم والعمل واختيار طريق الفقهاء المحدثين في المسائل الفقهية، وفي نفس الوقت فكر الناس في بلاد نجد والحجاز واليمن لتجديد هذه الحركة التي بدأها ابن تيمية وابن القيم في بلاد مصر والشام في القرن السابع أو الثامن الهجري، والتي كانت تهدف إلى تحرير الأمة المسلمة من

التقليد الجامد للأئمة المجتهدين وأتباعهم من غير دليل وبرهان، ودعوتهم إلى اتباع الكتاب والسنة وقد اتصفت هذه الحركة بفكرة شاه ولي الله الخالصة.

"إن حركة أهل الحديث ملتقى حركات ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والشوكاني وحركة شاه ولي الله الدهلوي للرجوع إلى دين السلف والتي تهدف إلى القضاء على المحدثات وتحرير المسلمين من التقليد الجامد للأئمة المجتهدين وأتباعهم بدون دليل. ثم دعوة الناس إلى أصل الكتاب والسنة في العقائد والأعمال واتباع طريق السلف."[٤٤]

وقد صرح الأستاذ السيد سليمان الندوي:

"إن أهل الحديث قادها إسماعيل الشهيد فكانت تبنى على نصب الامارة وإنشاء نظم الزكاة وإرجاع الاسلام إلى أصله بإزالة جميع الآثار التي طرأت عليه."[٤٥]

---

[٤٤] عبد الرحمان: "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن" ص. ٣٩

[٤٥] سيد سليمان الندوي، "مقدمة" لـ شهروي: تراجم علماء أهل حديث، ص. ٧

وازدهرت هذه الحركة العلمية والاصلاحية بجاولات هؤلاء الأبناء والتلاميذ المخلصون، وكان في هذه الجماعة من ينتمي إلى الحنفية عملا وإلى أهل الحديث عقيدة، ومنهم من ينتمي إلى الحنفية في العقيدة والعمل، ومنهم من ينتمي إلى أهل الحديث عقيدة وعملا. ولكنهم الذين يشتركون فيه الجميع هو أنهم لم يبرزوا هذا الاختلاف قط. فمن كان منهم من يتمسك المذهب الحنفي كان يكره الجمود الفقهي والعصبية وكان هؤلاء يتوسعون في المسائل الخلافية لدى الأئمة ولم يكن يستطيعهم العمل بمذهب من المذاهب. وأيضا متأثرون بالتصوف ولكن ينفرون من المحدثات.

ثم تقدمت الحركة السلفية تحت رئاسة عائلة "صادق فور" السلفية وقد ضحت بكل غال وثمين للحركة وسجلت التاريخ لطولتها وبطولة عائلة صادق فور في إصلاحها واخلاصها للحركة، وقد ظلت هذه الحركة تمارس أعمالها الاصلاحية والدعوية، ونظرد عاتها وقادتها في انشاء المدارس الدينية، واحياء الدعوة السلفية وقد انتفع بهذه الحركة أهل الهند كثيرا بحيث لفت الناس عنايتهم إلى الإسلام، فتطورت الدعوة السلفية، ونشطت رجالها لنشر السنة وإحيائها فان هذا جانب رائع من هذه الحركة التي ملأت بها الحياة الدينية في المسلمين.

ثم شعر بعض من كان لهم علاقة وثيقة بهذه الحركة وأهدافها، وأدوا واجباتهم منهم السيد نذير حسين المحدث الدهلوي، فهو بذل قصارى جهوده لنشر

السنة والسلفية بطريق التدريس والتأليف والإرشاد. [٤٦]

فأصبحت حركة أهل الحديث أكبر وأهم حركات لدى المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بكونها مشتغلا في التمسك بالكتاب والسنة مع العلماء البارزين وزعائهم الممتازة، وهي حركة مثل الحركة الديوبندية الاصلاحية التي تصلح من هيئت تغيرات أوضاعهم السياسية والاجتماعية الشائعة، ولكن هذه الحركة في كل مواقفها أشد من الحركات الأخرى ولكن كان أثرها أقل على الأمة المسلمة.

فبرزت شخصية السيد نذير الحسين البارعة في أثناء مشعل الحركة واشتهرت في الأوساط العلمية والدينية لخدماتها الجليلة والدعوة إلى الكتاب والسنة وإحياءها ولنشر العقيدة السلفية ودرس الحديث النبوي في شبه القارة الهندية، وأراد أن يجد المسلمون كلهم أجمعون وليشتركوا في مشاوراتهم.

وتعتبر حركته الاصلاحية السلفية من أهم الخدمات في عصره، وهذه الخدمات التي كان لها أثر بارز في تنشيط الدعوة الاسلامية الحقة وإيقاظ المسلمين من سباتهم العميق ورجوعهم إلى المصدرين الصافيين للإسلام وهو الكتاب والسنة.

---

[٤٦] محمد ابراهيم جبر: "تاريخ أهل الحديث". ص. ١٢١

الباب الثالث

فى

سيد نذير حسين في ضوء كتاباته

الفصل الأول:

كتابات ـــ سيد نذير حسين

الفصل الثانى:

التقليد و الإجتهاد لدى سيد نذير حسين

الفصل الثالث:

التركيز على الفقه و الحديث

الفصل الأول

كتابات سيد نذير حسين

وقد تصدى سيد نذير حسين الدهلوي للفتن الشائعة في البلاد، وقاومها مقاومة شديدة وسخر لذلك كتاباته التي حظيت بالقبول لدى القراء، وتميزت بحوثها المبتكرة النافعة. ومعظم هذه البحوث كانت من إنشاء سيد نذير حسين وبعضها من العلماء الأعلام الذين ساهموا في نشر الدعوة في ذلك العصر. وحيث أن سيد نذير حسين كان يحسن الاستدلال بالنصوص، وينظر إلى الهدف الرئيس، فإن آثاره تبرز في الأوساط العلمية في ذلك الوقت وأخمدت نار الفتن وتجلى للناس ما هو الحق في مجال العقيدة والعمل، وعرفوا أن الابتعاد عن منهج السلف، والتخبط في العمل بآراء الناس هو أصل الداء، وأن الخروج من هذا المنهج لا يؤدي إلا الخسر والخسران.

ثم بدأ يكتب كتبا بسيطة هامة في الاجتهاد والتقليد والفتاوى، أثبت فيها مستوى الدين الحنيف، وناقش فيه المسائل الخلافية بين الأئمة الأربعة وأهل الحديث، واستدل فيه استدلالا تاما من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. واستخرج منها أقوال الأئمة الأربعة وجعلها استدلالا ضد التقليد وأبطل التقليد بالدلائل الساطعة، وردّ الإجماع على أنه ليس بإجماع شرعي بل ذلك شيء عبث.

وفي الحقيقة ما أتيح له فرصة التأليف لكثرة مشاغله في التدريس

والدعوة والإرشاد فلم يلتفت إلى الكتابة إلا في القليل النادر ولو أراد ذلك لكان له فيها كفلقا لا لقد رعليه غيره، وله مؤلفات عديدة، أشهرها "معيار الحق" و "واقعة الفتوى" و "دافعة البلوى" كلها باللغة الأردية. و "ثبوت الحق والحقيق" و "فلاح الولى بإتباع النبي" و "رسالة في إبطال عمل المولد" وهؤلاء الثلاثة بالعربية. وله رسالة باسم "مجموعة الفتاوى" بالفارسية أيضا. و أما الفتاوى المتنوعة التي شاعت في البلاد فلا تكاد أن تحصر. [٤٧]

وكل مؤلفاته لقد طلبنا في المكتبات الواقعة بمدينة دلهي وخارجها ولكن لم يستطع الحصول على كلها إلا كتابان. أحدهما "معيار الحق" والثاني "الفتاوى النذيرية" التي جمعها بعض تلامذته. وأحسن كتاب له "معيار الحق" ألف في مسئلة الإجتهاد والتقليد.

والآن نذكر بعض الملاحظات من كتابه في الصفحات التالية وأولا ننقل بعض الأنموذج من فتاواه حول القضايا التي شاعت في البلاد آنذاك. مثل "الفتنة القاديانية" وغيرها. وقد دفع السيد نذير حسين هذه الفتنة بفتاواه وواجه التحديات الجارة في ذلك الزمان.

---

[٤٧] غلام علي آزاد البلجرامي: "سبحة المرجان" ٢/٦.

الفتاوى النذيرية :

كان سيد نذير حسين شغوفا بالبحث والتحقيق في المسائل الفقهية من البداية. واكتسبت فتاواه شهرة كبيرة ولوحظ في هذه الفتاوى بحوث قيمة نادرة. ويحتوي الكتاب على جزئين كاملين وجاء نشره من قبل تلامذته المشهورين مثل: شيخ محمد حسين البتالوي ومولانا ثناء الله الأمرتسري، ونشرت كل المسائل والاستفتاء جاءت من جانب عامة الناس وقعت آنذاك. ونذكر هنا نموذجا من فتاواه التي صدرت من قبله حول الفتنة التي قد نشأت في شبه القارة الهندية وهي فتنة تنبؤ الميرزا غلام أحمد القادياني المصطنع.

ويذكر الإستفتاء عن المسائل المختلفة المتنازعة الشائعة في ذلك الزمان، الاعتقادات والشق بهذه الأمور التالية:

١ - ما ذكر في الأحاديث عن الدجال الموعود أنه يحيي الموتى ويعد الجنة والنار فإنه من المشركين ومعارض للتوحيد القرآني.

٢ - اعتقادات المسلمين في المسيح أنه رفع حيا إلى السماء ولا يزال حيا هناك سفاهة واعتقاد مشرك لأن القادياني ينسب نفسه إلى هذه الأوصاف.

٣ - ذهاب عيسى[١٤] أو محمد[٣] بجسم إلى السماء (معارض لقانون القدرة).

٤ - ليس المراد بليلة (القدر) التي ورد ذكرها في القرآن بل هو الزمن الذي يشبه الليل في الظلمة، ويأتي بعد ألف شهر من مضى النبيّ أو نائبه المجدد.

٥ - وليس المراد السجود لأبينا آدم في الآيات التي ذكر فيها السجود لآدم - وغير ذلك. فهذه هي عدة تمثيلات لعقائد القاديانية ومقالاته وعقائد هواريه ومشبهيه أوردناها كنماذج! -

فأجاب سيد نذير حسين على هذا الاستفتاء بما يأتي:

"وخرج الميرزا في هذه العقائد والمقالات والطريقة العملية من الإسلام من الإسلام وخاصة مذهب أهل السنة، لأن هذه العقائد والمقالات والطريقة العملية ليست إسلامية ولا سنية، بل منها عقائد ومقالات لفلاسفة اليونان، ومنها للرهبانية مشبجي "الفيد" ومنها للطبيعيين، ومنها للنصارى، ومنها لأهل البدع والضلال. والطريقة العملية هي طريقة الملحدين الباطنية وغيرهم من أهل الضلال، ولأجل ادعائه النبوة ونشره الأكاذيب واختياره الطريقة الإلحادية يحكم عليه قطعا بأنه دجال من الدجالين الثلاثين الذين ورد ذكرهم في الحديث، وعلى أشباهه وأمثاله بأنهم من ذرية الدجال مع العقائد والأعمال المذكورة لا يمكن عقلا وشرعا أن يكون أحد وليا وملهما ومحدثا". [٤٨]

---

[٤٨] فضل حسين: "الحياة بعد الممات". ص. ٣١٤

وبإشارة من المحدث سيد نذير حسين الدهلوى تقرر انعقاد مجلس بالمسجد الجامع ببدلهى، فانعقد المجلس وحضره الفريقان، فذهب بعض العلماء والمسئولين الحكوميين إلى الميرزا وطلبوا منه أن يكتب أن سيد نذير حسين لو ورد بخلاف دلائله فالميرزا سيوبخه فى المجلس نفسه. ولكن الميرزا لم يرد بشئ. وفى هذا المجلس عرض على الميرزا بعض الأمور الأخرى أيضا، ولكن الميرزا لم يرد على شئ ولم يستجب لأحد، وكذلك لم يقدم أدلته إلى سيد نذير حسين على وفاة المسيح... سبق ما ذكرنا سيوبخه سيد نذير حسين الرد على القاديانى وخلته وبذر بذلك البذرة الأولى لحركة ختم النبوة وذلك فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر.

معيار الحق:

قد كتب هذا التأليف فى جواب الرسالة المسماة "تنوير الحق" المنسوبة فى الظاهر إلى المولوى قطب الدين، والمصنف فى الحقيقة لمحمد شاه الفتحابى الذى أقام عند سيد نذير حسين أربع سنين واستفاد منه، ثم اعتزل عنه كاعتزال واصل بن عطا عن الإمام الحسن البصرى، فاطلع عليها وفاز إلى ما فيها فوجدها مشتملة على المفاسد والمحظور. فاعتزم سيد نذير حسين أن يجيب الكتاب "تنوير الحق" بـ "معيار الحق" أى ما هو مقتضى الحق. و

ويشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب :-

إذ وجد بعضه وهو الباب الأول مخالفا لما روى عن المحققين من المحدثين والمؤرخين من المعتبرين ومتضمنا للأحاديث الواهية الموضوعة التي نص على حرمة روايتها عن الحفاظ المحققين. والباب الثاني مخالفا لما صرح به الإمام أبو حنيفة وصاحباه ومن تبعهم من جمهور الفقهاء والأصوليين من المتقدمين والمتأخرين. والباب الثالث خلاف المحققين المنصفين.

فنتصدى لتحريرها بانتها إظهارا للحق لقوله تعالى (لوجه لائم ولقوله عليه السلام (الساكت عن الحق شيطان أخرس) فجاء بكتاب ينطق بالحق فلذا سمي باسم كالمسمى "معيار الحق". ويكفي لنا أن نخبر لما يعرب سيد نذير حسين بنفسه عن حيز الوجود لهذا الكتاب، فنقول :-

"إن ما ادعينا من كون ذلك الرسالة في الحقيقة لمحمد شاه النجابي يقتضي تفصيلا: وهو أنه ما اعتزل عني كان ساعيا من عدة سنين في جميع ما أورده فيها من المزخرفات لرد ما في رسالتين -- "إيضاح الحق" و"تنوير العينين" لسيد إسماعيل الشهيد، فلما اختتم ما جمعه وتم ما يفيد قصده أراد إظهاره و استشاره لكنه منهم، فكيف يظهره ثمرة كبرى وأنى يلتفت إلى

وجه من وجوه الناس فتجسس عن ينسب إلى نفسه ما جمعه وهو من المشهورين ومع ذلك يكون ساذجا غير واقف من كيد الخائنين واختاره، فوجدوا فقالوا له عاه المولوى قطب الدين، فالتجأ إليه بهذا السؤال بخاره وليله وكان يذهب في الحضرة. و كان المولوى قطب الدين كذلك يصرف مدة عمره في تأليف الكتب المتضمنة للمسائل السهلة المشهورة، ولم تيسر له مطالعة كتاب كبير دقيق من كتب الأصول والفقه والحديث من الجدول التي يطلع على مباحث عضال المحققين ليعصم نفسه عن أغوار المخوين الخطرين من كيده ورضي بقوله، فاستجاب دعوته وأخذ ما جمعه، وكان في العبارة العربية فترجمه إلى الأردية وسماه ب" نشور الحق" ونسبه إلى نفسه خلافا للواقع. ولنا الشهود على ما أوردناه في هذا التفصيل، فمن ارتاب فليحضر عندنا، فنطلب منا الشواهد والدليل، والذي له طبع سليم وعقل مستقيم سيطمئن قلبه من مطالعة آخر تلك الرسالة لأن في آخرها اقرار من محمد شاه بما يصدق هذه المقالة، ولما كانت الرسالة في العبارة الأردية ينبغي أن يكون جوابها أيضا في الأردية." [٤٩]

---

٤٩ سيد نذير حسين: "معيار الحق"، ص. ١٠

فجاء الكتاب إلى منصة الشهود في أواخر القرن التاسع عشر، فاختار النقد في كتاباته واحترز من الحشو والزوائد واستشهد المراجع التي تنتسب إلى العلماء البارعين الذين لهم ملكة راسخة ومهارة فائقة في هذا الفن الخاص. ثم كتب المولوي إرشاد الحق الرد على "بحار الحق" المسماة بـ "انتصار الحق" والذي رد من قبل تلامذة السيد نذير حسين في أربع ردات: وهي براهين إثنا عشر، وتلخيص الأنظار في ما بني عليه الانتصار، واختبار الحق وأخيرا بحر ذخار". ٥٠

فلما كان علم الفقه أعظم العلوم قدرا وأعلمها منزلا، وكانت مسئلة وجوب تقليد إمام واحد وعدم وجوبه من أدق مسائله وأغمضها، وقد تحيرت فيها أفهام الأذكياء وتقاصرت عن حقيقتها أذهان الفضلاء فإن ذلك الكتاب لا ريب فيه أنه في هذه المسئلة فصل الخطاب ليسلك من يتأمل فيه سبيل الرشاد، ويخلع ربقة وجوب تقليد الإمام الواحد من أعناق العباد، فإنه برهن فيه على ما هو الحق. والحقيقة إن التقليد لإمام معين من أئمة الهدى واجب. وتقليد الإمام الواحد المعين غير لازم إلا بأقوال المقلدين لا المجتهدين فضلا عن النص الصريح أو الحديث المأثور عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

---

٥٠ فضل حسين: "البهاء لبد الهاث". ص. ٢١٨

الفصل الثانی

التقلید والإجتهاد لدی سید نذیر حسین

كان التقليد والإجتهاد كلاهما من أهم القضايا الهامة في القرن التاسع عشر الميلادي، ولذا من الضروري أن نعرف موقف سيد نذير حسين من التقليد للأئمة فنأتي بآية: «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» الآية: سورة النحل

فهذه الآية مخصصة وظنية بالإجماع لأن أهل السنة لا يزعمون أن يشبع الرضى والخزية وكذلك لا يجب الرضى أن يتابع أهل السنة، فثبت الإجماع على تخصيص هذه الآية وبكونها الدلالة الظنية." هذا ما يقولون أهل التقليد".

ويقول سيد نذير حسين: " إعلم أن إدعاء التخصص وبكونها الدلالة الظنية سهو كبير، وليس لها أصل لأن كلمة "أهل" يطلق على العموم وليس على تخصيصها أي دليل شرعي: لا القرآن، والحديث المتواتر أو المشهور أو الخبر الواحد ولا القياس الصحيح لمجتهد فثبت تخصيصها بلا تخصص فهذا يدل على العموم شرعا ولغة ولم يكن هناك دليل شرعي بأن يكون خاصا له. ثم يخص البعض من فهمه المجرد لغير دليل، ليذهب العموم شرعا ولغة، فيفسد الأحكام الشرعية. وهذا الأصول يخالف أهل اللغة والشرع وهو ممنوع. ولو جاز إرادة البعض بلا قرينة لارتفع الأمان عن اللغة والشرع بالكلية لأن خطابات الشرع عامة. ولو جاز إرادة

البعض تسمياتٍ العام من غير قرينة لارتفع الأمان عن اللغة،
لأن كل ما وقع في كلام العرب من الألفاظ العامة يحتمل الخصوص
فلا يستقيم ما يفهم السامعون من العموم وعن الشرع، لأن
عامة خطابات الشرع عامة فلو جوزنا إرادة البعض من غير
قرينة لما صح فهم الأحكام لصيغة العموم".[٥١]

ولم يدع أحد حتى الآن إن هذه الآية مخصصة فما المعنى للإجماع هنا ؟
وإدعاء الإجماع المؤلف في هذا، مفقود غير مبين ولا مسند. وكما يقول مؤلف ....
" تفسير الحق " أن لا يسمح أهل السنة اتباع الرفضة وكذلك بالعكس. فلا يدل
إجماع كلمة " أهل" على التخصيص في الآية. بل كل فرقة لا تعرف خصومها مصداقاً
" لأهل الذكر" ولم تظن داخلة فيها، فكيف يقومون بالتخصيص فرقتهم.

ويقول أهل السنة إنا نحن أهل الذكر، ولا يصدق هذا على أحد من
الفرق الضالة. والحال أن كلمة " الذكر" هي مضاف إليه - لـ - كلمة " أهل" وهو
مطلق على الذكر الحق الصريح، والذكر الباطل المحض وغير ذلك، ولكن في هذه الآية
هي مقيدة لتقييد الحق، ولتؤيد الآيات القرآنية والأحاديث على هذا التقليد.

---

٥١ سيد نذير حسين : " معيار الحق " المكتبة النذيرية مصور باكستان ١٩٣٨م ص ٣٠-٣٧

قال الله تعالى: «إنا أنزلنا الكتاب بالحق. الآية »،

و «نزل عليك الكتاب بالحق. » و «ولا تلبسوا الحق بالباطل

وتكتموا الحق وأنتم تعلمون. » وإلى ما ذلك.

وقد تم الإدعاء هنا بدعويان: الأول إنه قد أجمع أهل السنة على أن الإراد هذه الآية بأهل الذكر الأئمة الأربعة، والثاني: لما أريد الأئمة الأربعة إجماعاً فوجب التقليد لأحد منهم. فالإدعاء الثاني وهو باطل وغلط محض. ويجب ربالذكر، لو فرض أن نقلد الأئمة الأربعة، ولكن كيف يستلزم أن يقوم بالتقليد لإمام واحد معلوم لأن يكون اتباعه واجباً. ولم يصرح أحد من العقلاء قط. والأول أيضاً باطل بأكثره بأن لم يقل شخص بأن المراد من أي الأئمة الأربعة. فما معنى الإجماع في الآية؟ بل الإجماع عند الأصوليين:

هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد في عصر واحد على أمر شرعي.[٥٢]

---

[٥٢] إبراهيم ميرا: "تاريخ أهل حديث" ص. ٥٩

إبطال التقليد لشخص معين :

ومن المعلوم أن هذا الفصل يحتوي على التقليد والاجتهاد، فعلينا أن نعرف ما هو التقليد؟ فالتقليد في اصطلاح الأصوليين: " التقليد هو العمل بقول من ليس قوله احدى الحجج الأربعة الشرعية بلا حجة منها. والإجماع من التقليد، وعمل القاضي بقول العدول، لأن كلا منهما وإن لم يكن إحدى الحجج فليس العمل به بلا حجة شرعية لإيجاب النظر أخذ العامي بقول المفتي وأخذ القاضي بقول العدول، والتقليد أخذ القول في غير معرفة دليله.

لكن العرف على أن العامي مقلد للمجتهد، قال إمام الحرمين: وعليه معظم الأصوليين. وقال الغزالي والآمدي وابن الحاجب إن سمي الرجوع إلى الرسول وإلى الإجماع وإلى المفتي وإلى الشهود تقليدا فلا مشاحة. [٥٣]

فثبت أن اتباع الرسول والمجتهدين يصح أن يقال التقليد.

ولا ينبغي أن نقلد المجتهدين، رغم أن العالم بالحديث والقرآن موجود عند معرفة مسألة، مثلا، يعرف العالم بالحديث والقرآن أن الصلوات الخمس فريضة على

---

[٥٣] صوت الأمة "مجلة شهرية أدبية عربية" عدد - ٨، نوفمبر ١٩٩٦ ص، ٤٢

تكلف فلا حرج في هذه المسألة أن يتبع مجتهدا، بل يرجع إلى تقليد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ٥٤

وقال السيد نذير حسين في كتابه "معيار الحق": "إن التقليد له أربعة أنواع. الأول وهو واجب، ويقال التقليد المطلق لمجتهد من المجتهدين لأهل السنة، وقال شاه ولي الله هذا التقليد واجب وهو صحيح إجماعا ثم يصرح من ذا الذي لا يتوقف من القرآن والحديث، فليعمل بدان يسأل من عالم متدين، وعلامة هذا التقليد أن يكون عمله بقول المجتهد كالمشترط بكونه موافقا للسنة فلا يزال متفحصا عن السنة بقدر الإمكان حتى ظهر حديث يخالف قول هذا أخذ بهذا الحديث. (عقد الجيد - ص ٨٤ للسور).

والقسم الثاني مباح وهو تقليد لمذهب معين على شرط أن المقلد لم يظن التعيين أمرا شرعيا يتعين بطريقة أنه لما صدر أمر الله عنه فلمن يتبع من المجتهدين يشبر أن الذمة اتباعا. وعلامة هذا التقليد هي أنه لو يمكن العمل على مسألة لمذهب آخر

٥٤ نذير حسين الدهلوي: "مجلة إشاعة السنة" الصادرة عن دار التأليف والترجمة بمدارس عدد ٣، ١٩٨٦ - أكتوبر. ص. ١٨

فلم ينكر منه ولا يكره العامل ولا يلومه.

والقسم الثالث حرام وبدعة، فان بلغه الحديث واستيقن بصحته لم يقبله لكون ذهنه مشغولة بالتقليد، فهذا اعتقاد فاسد وقول كاسد ليس له شاهد من النقل والعقل وما كان أحد من القرون السابقة يفعل ذلك.

والرابع شرك، وهو تقليد اتبع المقلد جهلاً بغير علم، ثم اطلع على أنه كان مخالفاً الحديث الصحيح غير منسوخ، وثبت المقلد موقف إمامه تأويلاً وتحريفاً بدون أي سبب ولا يقبل الحديث كلياً لسبب أعذاره بها أجيب في السابق، ولا يترك المقلد مذهب إمامه. فلا يحتاج القسم الأول والثاني إلى الإثبات لأن الفريقين يسلمان لهما، ولكن الثالث والرابع متنازعان، فمثل الأباث على الأحاديث بأن يكون هذا التقليد شركاً وثبت العلماء الشرك بهذا التقليد ويستدلون بهذه الآية: ((واتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله" الآية:))[٥٥]

---

[٥٥] سيد نذير حسين: "معيار الحق" ص. ١٥٨ - وانظر: ابراهيم مير: تاريخ أهل حديث ص. ٥١

الدلائل في منع التقليد:

يذكر هنا بعض الأقوال للأئمة والمجتهدين في منع التقليد، فينقل قول بحر العلوم عبد العلي الذي له كفل عظيم في خدمة الفقه والحديث فنحو يبطل التزام المذهب المعين ويقول:

"وهل يقلد غيره أي من قلده في غيره أي غير ما قلد فيه المختار، نعم، إن شاء لما علم من استفتاء هم مرة إماماً واحداً ومرة أخرى إماماً غيره من غير نكير من أحد فصار إجماعاً" (شرح مسلم).

وحجة الله شاه ولي الله الدهلوي يؤكد أن لا يجوز لأحد أن يخالف الدليل الشرعي ويرد: "بأن اعتقاد أفضلية الإمام على سائر الأئمة مطلقاً غير لازم في صحة التقليد إجماعاً. لأن الصحابة والتابعين كانوا لا يعتقدون أن غير هذه الأمة أبو بكر ثم عمر، وكانوا يقلدون في كثير من المسائل غيرهما مخالفاً لهما ولم ينكر على ذلك" (عقد الجيد).

ويقول الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي: "كانت طريقة من العلماء المتقدمين أن لا يقلدوا لشخص معين ويقول": "لزوم اتباع

المجتهدين والاقتداء بهم فيه طريقتان، فكان طريق المتقدمين
إنهم لا يرون التزام مذهب معين واتباع مجتهد واحد، بل كان
للمجتهدين العمل باجتهادهم وكان سبيل عامة الناس أن يستفتوا
الفقهاء ويرجعوا إليهم من غير متابعة لمعينه." (حصل التعرف على معرفة
الفقه والتصوف) [٥٦]

ونقل عن حجة الله البالغة عن البواقيت والجواهر عن أبي حنيفة: "إنه كان
يقول: "ولا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي". وقال الإمام مالك: "ما من
أحد إلا وما خوذ من كلامه ومردود عليه إلا الرسول ﷺ". وقال الشافعي: "إذا صح
الحديث فهو مذهبي". وقال أحمد: "لا تقلد مالكا ولا الأوزاعي ولا النخعي، وخذ الكلام
من حيث أخذوا من الكتاب والسنة". وعن أبي يوسف وزفر وغيرهما قالوا:
"ليس لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلناه". (حجة الله البالغة ص ١٢٦. ١/٦).

هذا مذهب الأئمة وطريقهم في المسئلة ولا نعلم من أين جاء المتأخرون
بوجوب التقليد المعين من العلماء. [٥٧]

وأهل الحديث في أهل الإسلام كالإسلام في سائر الأديان، ومن أهل

---

[٥٦] نفس المصدر، ص ١٦٥

[٥٧] صوت الأمة، العدد ٣، مارس ٢٠٠٠، ص ٩

السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد، فانه مذهب الصحابة، الذين تلقوه من نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة. فقد بان مما ذكرنا من نصوص الأئمة أن أهل الحديث وإن خصهم الله بخدمة السنة وضبط ألفاظها ومعانيها فانهم اختصوا بأفخاره مرة عتيقة عن التقليد، وعن هذه الحقيقة [illegible] لخبر حين ننسب أنفسنا إلى أهل الحديث والأثر، أو سمينا بالسلفي، وليس في ذلك الأحذار عن التقليد الشخصي الذي هو داء عضال للأذهان الصافية واتباع السنة النبوية والاقتداء بأئمة السلف". ع٥٨

ع٥٨ نفس المصدر. ص. ١٢

الاجتهاد والاجماع

وكان الحال على هذا النمط إلى آخر القرون المشهود لها بالخير، يسئل العالم، ويقبل قوله من غير تقيد وتقييد برأى شخص معين. وفيهم الفقهاء الكبار والعلماء العظام، ومن لهدى مجتهدهم ((وفوق كل ذى علم عليم))

والإجتهاد بالمعنى المصطلح المعهود لم يكن اذ ذاك موجودا، ولا علوم الاجتهاد الشائعة المصطلحة عند المتأخرين من الفقهاء الأصوليين، بل الاعتماد على التقوى، وسلامة الفطرة، والأصل عندهم قوله صلى الله عليه وسلم:

(إنما شفاء العى السؤال. رواه أصحاب السنن).

والعلماء حينئذ متوافرون كلما حللت بلدة أو قرية وجدت عالما من الصحابة أو فقيها من التابعين وأتباعهم يدرسون فى الفقه والحديث، يفتون أحيانا وأحيانا يفوضون الأمر إلى غيرهم، تارة يجيبون وتارة يعترفون بعدم العلم، وإذا وجدوا فى المسئلة نصا من الكتاب والسنة فرحوا وأجابوا مما فيها من غير شك وريبة، وإذا اضطروا إلى رأى وحكم لغير نص فكروا او شاوروا، فأحيانا قالوا به، وما أحسن قولهم: "إن كان صحيحا فمن الله وإن كان غير صحيح فمنى ومن الشيطان"، ويصرحون بأن هذا رأينا، إن وجدتم

رأيا أحسن منه فاقبلوه، وإن وجدتم نصا يخالف قولنا فاضربوا بقولنا الحائط من غير التزام واجبار على التقليد، والأئمة الأربعة وأكثر أصحابهم نسجوا على ذلك المنوال، ونصوصهم في ذلك متواترة متظاهرة، وعليك بالسنن الدارمي وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، وحجة الله البالغة لشاه ولي الله، والميزان للشعراني، وإعلام الموقعين لابن القيم الجوزي وغير ذلك من أئمة السنة. ٥٩

وهذا الحصر لو لم يكن محض الإعتباراته التي مضت قبل، بل، من النظر إلى أن الإجتهاد قد انتهى على الأئمة الأربعة، ولم يظهر مجتهد في أهل السنة سواهم قبلهم أو بعد أو يمكن أن يكون، ولكن الاتباع لا يجوز غيرهم سواء كان صحابيا أو تابعيا لهؤلاء الأئمة فهذا الحصر باطل من كلا النظرين وهذا مخترع ومحدث. فنقول: "إن بعض المتعصبين قالوا انتهى الإجتهاد المطلق على الأئمة الأربعة ولم يوجد مجتهد مطلق بعدهم والاجتهاد في المذهب انتهى على العلامة النسفي (صاحب الكنز) ولم يوجد مجتهد في المذهب بعده. وهذا غلط ورجم بالغيب، فإن سئل من أين وجدتم هذا، لا تقدرون على إيراد دليل أصلا، ثم هو أخبار بالغيب وتحكم على قدرة الله تعالى، فمن أين يحصل علم أن لا يوجد إلى يوم القيامة

---

٥٩ أبو يحيى: "علماء أهل الحديث كي تصنيفي خدمات". ص. ٢٥٣

أحد يتفضل مقام الإجتهاد فاجتنب عن مثل هذه التعصبات.

وهذا كذب ظاهري وانكار بديهي أن لم يصبح مجتهدا ما عدا الأئمة الأربعة قد مضوا قبلهم وبعدهم. وهذا من الواضح، والتجاهل فيه مكابرة محضة. على سبيل المثال: إن إمام أبو توركان مقلد الحنفية في البداية ثم اختار الشافعية ثم بعد ذلك أصبح مجتهدا متبوع المذهب وتابعوه جم غفير من الناس. وكان مقلده الشيخ حنبد البغدادي. وكذلك كان الإمام البخاري مجتهدا كاملا. وقد نقل ابن حجر العسقلاني عن أبي مصعب أنه قال إن محمد بن إسماعيل البخاري أعلم في الفقه والحديث من الإمام أحمد بن حنبل" وكذلك قال لو وجدت مالكا والبخاري لقلت إنهما سواء في الفقه والحديث وأمثلة أخرى كثيرة.

فحصلت الغاية يعني إبطال حصر الإجتهاد للمذاهب الأربعة بهذا التفصيل نظرا إلى القاعدة الأولى، وإن كان هذا الحصر بنظرة ثانية يعني لوجود كثير من المجتهدين سوى الأئمة. أما قبلهم فالصحابة والتابعين أو بعدهم المجتهدون الآخرون، ولكن التقليد لا يصح سوى هؤلاء الأربع فذلك هذا الحصر باطل. لأن هذا الحصر ينسخ القرآن عامة وبرد الحديث (خير القرون قرني الخ).[٦٠]

---

[٦٠] سيد نذير حسين: "معيار الحق" ص. ٢٥٧.

الفصل الثالث

التركيز على الفقه والحديث

كاد الجهل تضمحل عوتذوب، والجمود وعوائد الكفر ترحل حينما تحل عساكر البيوت وانهزمت جموع التقليد والجمود. في الحقيقة، الحرب لم تزل دائرة بين أهل الحديث وبين دعاة التقليد، يقلون ويكثرون بحسب ما تيسر لهم من الأسباب المادية من القضاء والتوسل بالسلاطين والحكام بأن جمع الحديث وتدوينه كان عامًا في البلاد الإسلامية، والعمل به كان أصلًا أصيلًا عندهم كما كان في عهد الصحابة والتابعين.

وكلمة "أهل الحديث"، والسلفي، والأثري، وأصحاب الحديث وأهل السنة مترادفة لا دليل إلا على هذه الحقيقة التي ذكرناه، وهي مترادفة للإسلام نفسه. وأن لفظة أهل الحديث لا تعني به ترك التقليد والجمود فقط، بل لابد، بعد ذلك من الإلتزام بالكتاب والسنة وفهم النصوص على وأب الصحابة والتابعين وأصحاب القرون المشهود لها بالخير، فإن الفوضوية واتباع الهوى وإعجاب كل ذي رأي برأيه ممنوع عن أصله بالمرة فليكن من ذلك على حذر.

ومن التسامح قول بعض المعاصرين بأنهم أصحاب الفن وحفاظ الحديث فقط من غير فقه عندهم، لا يعدون إلى أمر سوى الحفظ والضبط والتحرير في المعاني والمقاصد إن ذلك إلا وهم منهم، بل القوم هم العاملون بالمصالح العامة، والعارفون بمقاصد الإسلام الذين جاهدوا فيه، وأفتوا حسب ما تقتضيه المصالح. وهذا الوهم نشأ إما من الإنغماس في بحار العصبية أو قلة النظر في أسفار القوم وتواريخ الفرق

والمذاهب، فإن أصحاب الحديث منهم الفقهاء والمعرفون والقراء والمحدثون هم هذبوا أصول الفقه، ودونوا قواعده، وأسسوا الرواية على الدراية على الرواية ودونوا الحديث وبوبوا، وغاصوا في بحار الفقه والكلام، أكثرهم أئمة في كل فن، وطريقة فكرهم نظرهم في مسارح الأسفار ودقة نظرهم تستبين إذا تقاولت الأنظار، هم فلاسفة السنة ومتكلموها، هم أدباء الإسلام الماهرون في الفنون بألوانها، وقد اعترف بذلك أئمة في غير موضع. وإن أصحاب الحديث على قسمين، فرقة منها هي أهل النقل والرواية الذين تشتد عنايتهم بنقل السنن، وتتوفر دواعيهم على تحصيل طرقها وحصر أسانيدها والتمييز بين صحيحها وسقيمها، فيغلب عليهم ذلك، فيعرفون به وينسبون إليه، وفرقة منهم يغلب عليهم تحقيق طرق النظر والمقاييس، والإبانة عن ترتيب الفروع على الأصول، ونفي الشبه الملبسين عنها، وإيضاح وجوه الحجج والبراهين على صحائحها. فقد ظهر مما ذكرنا أن أصحاب الحديث صنفان، صنف أصحاب حفظ وضبط، وقسم أصحاب فكر ونظر، يرتبون الفروع على الأصول، ويربطون الأحكام بالعلل وهم أصحاب الفقه والنظر. [٦١]

[٦١] عبد الرحمن: "طهور وخلاصة في فرقة السنة المطهرة" إدارة البحوث الإسلامية بنارس ١٩٨٦م. ص ١٤٢

بين الرواية والدراية:

"علم الحديث" يسمى "علم الرواية والأخبار والآثار". وعلم الفقه وأصوله يسمى "علم الدراية". "الرواية" و "الدراية" قرينتان لا تختلف إحداهما عن الأخرى. إن تحرك الدراية عن الرواية تكون عارية عن الدليل، لأن أصل الأصول هما: الكتاب والسنة. أما الإجماع والقياس فمردودان إليهما.

وعلى هذا كان السلف، ولكن لما نشأ التقليد المذهبي، وزاد التعصب سلم الناس لأقوال أئمتهم المتبوعين وفتاواهم أيضا مثل الأدلة القاطعة.

وجعل سيد نذير حسين الدهلوي الكتاب والسنة كمصدرين أساسيين للدين أصول الفقه والدراية كما اختار الأصوليون الآخرون هذا النمط، ولكي يكون حفاظا على فتاوى المذهب وأقواله وضعوا أصولا لا جتهادها، فقد تم وضع أصول الفقه والدراية، ولكن بقيت فيها ثغرات كثيرة تخل أصول الإسلام الأصلية: "الكتاب والسنة"، نتائجها الخطيرة حتى الآن. ويشير سيد نذير حسين في كتابه "معيار الحق" إشارة بالغة إلى بعض هذه الأصول، ومنها:

- الخاص مبين فلا يلحقه البيان. - العام قطعي كالخاص.

- لا يجب العمل بحديث غير الفقيه من الصحابة. ع ٦٢

ع ٦٢ سيد نذير حسين: "معيار الحق". ص. ٢٠٣

وإنه لقول: ومن المعلوم أن صريح العقول لا يخالف صحيح المنقول، ولكن بعض المتأخرين من الأصوليين افتعلوا الخلاف بين الرواية والدراية، وأوجدوا التعارض بين أصول الإسلام. وأهم نواحي هذا الخلاف تنحصر في النقاط التالية:

.. :: إيجاد التعارض بين القرآن والسنة.

:- إيجاد التعارض بين السنة والسنة.

:: إيجاد التعارض بين السنة والقياس. وينقل بعض الأمثلة عن هذه النقاط. وفيما يلي: " سيواجه التعارض بين القرآن والسنة بإسم الدراية والتفقه، وردّ السنة بأنها زائدة على القرآن ولكن يترك العمل بالسنة.

ووضعت القواعد وأصل الأصول لردّ السنة بهذا الأسلوب. ويضيف قائلا: أن الحكم الخاص من الكتاب وجوب العمل به لا محالة، فإن قابله خبر الواحد أو القياس، فإن أمكنه الجمع بينهما بدون التغيير في حكم الخاص يُعمل بهما، وإلاّ يُعمل بالكتاب ويترك ما يقابله. وبنا فتش في ضوء هذه الأصول نظرا إلى الكتاب والسنة ثم يطلع على رأيه.

تبادل الآراء عن تلك الأصول:

ومن خلال دراسة هذه الأصول والقواعد وصلنا إلى ثلاث مقدمات: إحداها: إن القرآن لم يوجب

ما أوجبته السنة. الثانية: نسخ السنة بالقرآن.

والثالثة: أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز.

وأقام على هذه المقدمات إسقاط كثير مما صرحت السنة بإيجابه كقراءة الفاتحة، والطمأنينة، وتعيين التكبير للدخول في الصلاة والتسليم للخروج منها. ولا يتصور صدق المقدمات الثلاث في موضع واحد أصلاً، بل إما أن تكون كلها كاذبة أو بعضها... فإن لم يكن القرآن قد دل على النبي ودلت عليه السنة - لم يكن وجوبه للقرآن وإن كان زائداً عليه، ولو كان كل ما أوجبته السنة ولم يوجبه القرآن لنسخاله لبطلت أكثر سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفع في صدورها وإعجازها. وقال قائل:- هذه زيادة على ما في كتاب الله فلا نقبل ولا نعمل بها، وهذا بعينه هو الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيقع وحذر منه كما في السنن من حديث المقدام بن معدي كرب عن النبي صلعم: ألا أوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن وما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة مال المعاهد"

(صحيح رواه أحمد وأبو داود، والجامع الصغير، رقم ٢٦٤٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا

بعدهما، كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) (المستدرك عن أبي هريرة. رقم ٢٩٣٧). فلا يجوز التفريق بين ما جمع الله بينهما وبرد أحدهما بالآخر، بل سكوته عما نطق به ولا يمكن أحدًا لطرد ذلك، ولا الذين أصلوا هذا الأصيل، بل قد نقضوه في أكثر من ثلاثمائة موضع منها ما هو مجمع عليه ومنها ما هو مختلف فيه. ع٦٣

السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون تواردهما والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتظافرها.

الثاني: أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيرا له.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه... ولا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تعارض القرآن بوجه قط، فما كان منها زائدا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي صلى الله عليه وسلم تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديما لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله. ولو كان رسول الله صلى الله عليه وآله

ع٦٣ نفس المصدر: ص ٨-٢٠٦

وسلم لا يطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصة به، وإنه إذا لم تجب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه لم يكن له طاعة خاصة تختص به. وقد قال الله تعالى: ((من يطع الرسول فقد أطاع الله)) [النساء: ٨٠] وكيف يمكن أحد من أهل العلم أن لا يقبل حديثا زائدا على كتاب الله، فلا يقبل "تحريم المرأة على عمتها ولا على خالتها"، ولا حديث "التحريم بالرضاعة لكل ما يحرم من النسب" ولا "خيار الشرط، والشفعة" وإلى ما ذلك.

ثم نقل عن المحدث سيد نذير حسين الدهلوي على المسائل الآتية -

للأحناف قائلا: "فهلا علمتم: إنما تنسخ للقرآن وهو لا ينسخ بالسنة، وكيف أوجبتم الوضوء أنه زيادة محضة على القرآن بخبر مختلف فيه؟ وكيف رددتم على كتاب الله فاشترطتم في الصداق "أن يكون أقله عشرة دراهم" بخبر لا يصح البتة وهو زيادة محضة على القرآن؟ وتركتم السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالوضوء من مس الفرج وأكل لحوم الإبل، وعلتم ذلك زيادة على القرآن، لأن الله تعالى إنما ذكر الغائط ثم أخذتم بحديث ضعيف في إيجاب الوضوء من القهقهة، وبخبر ضعيف في إيجابه من القيء، ولم يكن إذ ذاك زائدا على ما في القرآن إذ هو قول متبوعكم، ومن العجب إذا قال من قلدتموه قولا زائدا على ما في القرآن قبلتموه وعلتم:

ما قاله إلا بدليل، وسهل عليكم مخالفة ظاهر القرآن حينئذ، وإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا زائدا على ما في القرآن حفظتم: هذا زيادة على النص وهو نسخ، والقرآن لا ينسخ بالسنة فلم تأخذوا به، واستصعبتم خلاف ظاهر القرآن، فبان خلافه إذا وافق قول من قلدتموه، وصعب خلافه إذا وافق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فخالفوا لنا الفرق بين ما يقبل من السنن الصحيحة، وما يرد منها - فإما أن تقبلوها كلها، وإن زادت على القرآن. وإما أن ترفضوها كلها إذا كانت زائدة على القرآن. وأما التحكم في قبول ما اشتهتم منها ورد ما اشتهتم منها فمن لم يأذن به الله ولا رسوله، ونحن نشهد الله شهادة نسأل لنا يوم نلقاه أنا لا نرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة واحدة صحيحة أبدا إلا بسنة صحيحة مثلها تعلم أنها ناسخة لها. ٦٤

تخصيص القرآن بالقياس:

ومن عجائب الأصول: إنه كيف الأحناف والآخرون يجوزون الزيادة على القرآن بالقياس الذي أحسن أحواله أن يكون للأمة فيه قولان: أحدهما: أنه باطل مناف للدين، والثاني: أنه صحيح تواطر عن الكتاب

---

٦٤ أبو يحيى نور الشهروي: "علماء أهل حديث كي تصنيفي خدمات". ص. ١١٩

والسنة، فهو مرتبة الأخيرة، ولا يختلفون في جواز اثبات حكم زائد على القرآن به، فهم لا يقولون: إن ذلك يتضمن نسخ الكتاب بالقياس. فان قيل دل القرآن على صحة القياس واعتباره وإثبات الأحكام به، فما خرجنا عن موجب القرآن، ولا زدنا على ما في القرآن إلا بما دلنا عليه القرآن. قيل: فهلا قالوا: مثل هذا سواء في السنة الزائدة على القرآن، وكان قولهم ذلك في السنة أسعد و أصلح من القياس الذي هو محل آراء المجتهدين وعرضة للخطاء، بخلاف قول من ضمنت لنا العصمة في أقواله، وفرض الله علينا اتباعه وطاعته.

فان قيل: القياس بيان لمراد الله ورسوله، وإنه أريد إثبات الحكم في المذكور في نظيره، وليس ذلك زائدا على القرآن، بل تفسير وتبيين. قيل: فهلا قالوا، إن السنة بيان لمراد الله من القرآن، تفصيلا لما أجمله، وتبيينا لما سكت عنه، وتفسيرا لما أبهمه، فإن الله سبحانه أمر بالعدل والإحسان والبر والتقوى، ونهى عن الظلم والفواحش والعدوان والإثم، وأباح لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث، فكل ما جاءت به السنة فإنما تفصيل لهذا الأمر به والنهي عنه، والذي أحل لنا هو الذي حرم علينا. ع٦٥

ع٦٥ سيد نذير حسين: "معيار الحق" ص. ١٥١، أنظر أيضا: أبو يحيى: "علماء أهل حديث كي تصنيفي خدمات" ص. ١٢٣

والحقيقة إن الله سبحانه وتعالى نبى صلى الله عليه وسلم منصب التشريع عنه ابتداء كما ولاه منصب البيان لما أراده بكلامه كله بيان عن الله، والزيادة بجميع وجوهها لا تخرج عن البيان بوجه من الوجوه، بل كان السلف إذا سمعوا الحديث عنه وجدوا تصديقه فى القرآن، ولم يقل أحد منهم قط فى حديث واحد أبدا: إن هذا زيادة على القرآن فلا نقبل ولا نسمع ولا نعمل به، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فى صدورهم وسنته أعظم عندهم من ذلك وأكبر".

الأحاديث المتعارضة وكيفية التعامل معها:

إذا وجد الحديثان يتعارضان فى الظاهر، يتعامل معهما على النحو التالى:

أولا: الجمع بينهما إن أمكن من غير تعسف.

ثانيا: إن عرف المتقدم من المتأخر فهو الناسخ والمنسوخ.

ثالثا: إن لم يعرف التاريخ، وأمكن ترجيح أحدهما على الآخر بوجه من وجوه الترجيح يتعين المصير إليه.

رابعا: وإن لم يمكن الترجيح يتوقف عن العمل بأحد الحديثين. فصار ما ظاهره التعارض على هذا الترتيب:-

∴ الجمع إن أمكن، ∴ اعتبار الناسخ والمنسوخ، ∴ الترجيح، ∴ ثم التوقف.

وقد علم أن الحديث "البينة على المدعى"، وحديث "القضاء باليمين مع الشاهد" لا يخالف أحدهما الآخر، والجمع بينهما ممكن متعين المصير إليه، والعمل بهما معا أولى وأفضل من إهمال أحدهما بدعوى المخالفة أو الترجيح.

بأنه لا يجوز تعطيل أحد الحديثين وإبطاله، بل يتعين إعماله واعتباره، ولا تضرب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعضها ببعض. وهذه القاعدة أولى من القاعدة التي تتضمن إبطال إحدى السنتين وإلغاء أحد الدليلين[٦٦]

التعارض بين السنة والقياس:

إن المعقول الصحيح لا يخالف المنقول الصحيح، فإن خالف أحدهما الآخر فلا بد من فساد أحدهما. والحديث إذا ثبت فهو أصل بنفسه لا يحتاج في ثبوته إلى شيء آخر، لأن السنة مع الكتاب هما الأصل والإجماع والقياس مردودان إليهما. ونذكر هنا قاعدة لرد الحديث الصحيح بالقياس، كما يجوز الأئمة الأربعة رده بالقياس، ونقول مشيرا إلى قول الشافعي وهو بين أقسام الرواة:

الراوي في الأصول قسمان:

---

[٦٦] صوت الأمة: "مجلة شهرية" العدد الثاني، فبراير ١٩٩٩م. ص. ٢٥.

الأول: معروف بالعلم والإجتهاد: كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأمثالهم، فإذا صحت عندك رواياتهم عن رسول الله ﷺ يكون العمل برواياتهم أولى من العمل بالقياس ولهذا روى محمد حديث الأعرابي الذي كان في عينه سوء في مسألة "القهقهة" وترك القياس.

والقسم الثاني من الرواة: هم المعروفون بالحفظ والعدالة، دون الإجتهاد والفقه: كأبي هريرة وأنس بن مالك. فإذا صحت رواية مثلهما عندك وافق الخبر القياس فلا خفاء في لزوم العمل به. وإن خالفه كان العمل بالقياس أولى.

- (أصول السرخسي ٢٧٥).

وعلى هذا ترك رواية أبي هريرة في مسألة "المصراة" بالقياس وباعتبار اختلاف أحوال الرواة."

"والمصراة": التي صري لبنها وحقن فيه وجمع ولم يحلب أياما.

قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: لا تصروا الإبل والغنم فمن ابتاعها بعد فإنه بخير النظرين بعد أن يحتلبها، إن شاء أمسك، وإن شاء ردها وصاع تمر". (البخاري ٤/٣٦١).

قال أنصار الحديث: كل ما ذكرتموه خطأ، والحديث موافق لأصول الشريعة

وقواعدها، ولو خالفها لكان أصلا بنفسه، كما أن غيره أصل بنفسه، وأصول الشرع لا يضرب بعضها ببعض، كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يضرب كتاب الله بعضه ببعض، بل يجب اتباعها كلها، ورد كل منها على أصله وموضعه، فإنها كلها من عند الله الذي أتقن شرعه وخلقه، وما هذا هذا إلا الحظ الصريح. [٦٧]

نقد أصول الدراية الإصلاحية:

انتقد كثير من العلماء قديما وحديثا، أصول هذه الدراية القياسية التي تخالف أصول الكتاب والسنة، وأثبتوا بالأدلة والبراهين أن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصحيح، وبينوا أن السنة الصحيحة لا تخالف الأصول أما الإجماع والقياس فمردودان إليهما. فكيف يخالف الأصل نفسه بنفسه؟

وهناك فرق بين الأصول، وقياس الأصول الذي يخالف أصول الكتاب والسنة، وحينئذ يجب على المسلم اتباع ما في السنة وترك ما يخالفه، عملا بقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]

---

[٦٧] المصدر السابق: ص. ٢٨.

وقد أجاد العلماء الثقات في نقد أصول الدراية التي توهم التعارض بين القرآن والسنة، وبين السنة والسنة، وبين السنة والقياس، وأخص بالذكر منهم أربعة في أزمنة مختلفة وعصور شتى وهم:

١- الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. ألف هذا الإمام كتابه "تأويل مختلف الحديث"، دافع فيه عن السنة دفاعا عجيبا، ورد على شبهات الفرق الضالة، وكشف عن زيفها وعوارها.

٢- الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن القيم الجوزية: وقد خص هذا الإمام كتابه القيم "أعلام الموقعين عن رب العالمين" (في أربعة أجزاء) بالدفاع عن السنة، وبيان فساد أصول الدراية القياسية التي تعارض أصول الكتاب والسنة بالتفصيل.

٣- الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي: دافع الإمام الدهلوي عن السنة في عديد من كتبه، وبين ظروف نشأة هذه الأصول المخرجة على كتب المذاهب الفقهية المخالفة للكتاب والسنة، ورد ها عليها رد ا بالغا في كتابه النفيس "حجة الله البالغة". ع٦٨

ع٦٨ أبو يحيى نور شهروي: "هندوستان مين اهل حديث كي علمي خدمات". ص. ١٤٤

كثير مما نسب إلى أبي حنيفة هو تخريج مذهبه:

وجد بعضهم يزعم أن جميع ما يوجد في هذه الشروح الطويلة وكتب الفتاوى الضخمة وهو قول أبي حنيفة وصاحبيه، ولا يفرق بين القول المخرج، وبين ما هو قول في الحقيقة، ولا يحصل معنى قولهم على تخريج الكرخي كذا، وعلى تخريج الطحاوي كذا، ولا يميز بين قولهم: قال أبو حنيفة: كذا، وبين قولهم جواب المسألة على مذهب أبي حنيفة أو على أصل أبي حنيفة كذا، ولا يصغى إلى ما قاله المحققون من الحنفيين كابن الهمام وابن النجيم في مسألة العشر، ومثله مسألة اشتراط البعد من الماء ميلا في التيمم، وأمثالها، أن ذلك من تخريجات الأصحاب وليس مذهبا في الحقيقة. وبعضهم يزعم أن بناء المذهب على هذه المحاورات الجدلية المذكورة في مبسوط السرخسي والهداية والتبيين ونحو ذلك، ولا يعلم أن أول من أظهر ذلك منهم المعتزلة، وليس عليه بناء مذهبهم، ثم استطاب ذلك المتأخرون توسيعا وتشحيذا لأذهان الطالبين ولو لغير ذلك".

الخلاف بين أبي حنيفة والإمام الشافعي:

وقد وجد بعضهم يزعم أن بناء الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي على هذه الأصول المذكورة في كتاب البزدوي ونحوه، وإنما الحق أن أكثرها أصول مخرجة

على قولهم.

ويقول سيد نذير حسين في هذه المناسبة أن المسألة القائلة بأن الخاص مبين، ولا يلحقه البيان، وأن الزيادة نسخ، وأن العام قطعي كالخاص، وأن الترجيح بكثرة الرواة، وأنه لا يجب العمل بحديث خبر الفقيه إذا انسد باب الرأي، وأن لا عبرة بمفهوم الشرط والوصف أصلا وأن موجب الأمر والوجوب البتة، وأمثال ذلك أصول مخرجة على كلام الأئمة، وأنه لا تصح برواية عن أبي حنيفة وصاحبيه، وأنه ليست المحافظة عليها والتكلف في جواب ما يرد عليها من صنائع المتقدمين في استنباطهم كما يفعله البزدوي وغيره أحق من المحافظة على خلافها والجواب عما يرد عليه. ع٦٩

سألته: أنهم أصلوا أن الخاص مبين فلا يلحقه البيان، وأخرجوه من ضبع الأدلة في قوله تعالى ((اركعوا واسجدوا)) [الحج. ٧٧] وقوله صلى الله عليه وسلم، "لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود" حيث لم يقولوا بفرضية الإطمئنان، ولم يجعلوا الحديث بيانا للآية، فورد عليهم صنعهم في قوله تعالى:

((وامسحوا برؤوسكم)) [المائدة ٦]

ع٦٩. سيد نذير حسين: "معيار الحق". ص. ٣١٢

ومسح النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ناصيته حديث جلوه بيانا.

وقوله تعالى: ((الزانية والزاني فاجلدوا)) [النور - ٢]، وقوله تعالى:

((السارق والسارقة فاقطعوا)) [المائدة: ٣٨].

وما لحقه من البيان بعد ذلك، فتكلفوا للجواب كما هو مذكور في كتبهم،

وأنهم أصلوا أن العام قطعي كالخاص، وخرجوه من صيغ الأوائل في قوله

تعالى: ((فاقرؤوا ما تيسر من القرآن)) [المزمل: ٢٠].

وقوله صلى الله عليه وسلم: " لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب "، حديث لم يجعلوه

مخصصا، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " فيما سقت العيون العشر " (الحديث) و

أيضا: " ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة "، حديث لم يخصوه به وكذلك من

المواد، ثم ورد عليهم قوله تعالى: ((فما استيسر من الهدي)) [البقرة: ١٩٦]. ع٧٠

إشتراط فقه الراوي لتقدم الخبر على القياس:

ويكفيك دليلا على هذا قول المحققين في مسألة: لا يجب العمل بحديث

من اشتهر بالضبط والدراية دون الفقه إذا انسد باب الرأي كحديث المصراة

ع٧٠ ابراهيم بيرم: " تاريخ أهل الحديث " ص. ١٨٩

أن هذا مذهب عيسى ابن أبان، واختاره كثير من المتأخرين. وذهب الكرخي وتبعه كثير من العلماء إلى تسليم اشتراط فقه الراوي لتقدم الخبر على القياس، قالوا: لم ينقل هذا القول عن أصحابنا، بل المنقول عنهم أن خبر الواحد مقدم على القياس، ألا ترى أنهم عملوا بخبر أبي هريرة في الصائم إذا أكل وشرب ناسيا وإن كان مخالفا للقياس حتى قال أبو حنيفة: لولا الرواية لقلت بالقياس. وذكر أيضا اختلافهم في كثير من التخريجات أخذا من ضمائرهم، ورد بعضهم على بعض. ع٧١

والحقيقة، لقد توصلنا لبعد هذا الاستطراد السريع من أصول التركيز لسيد نذير حسين على الفقه والحديث إلى ما يلي:

* لا يوجد هناك أي تناقض بين الرواية الصحيحة والدراية السليمة لأن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصحيح أبدا.

* التعارض بين الرواية والدراية أي الفقه والحديث هو من صنيع المتأخرين من الفقهاء والأصوليين. وقد وضعوا أصولا ردوا بها طائفة كبيرة من السنن، وصارت هذه الأصول فيما بعد، سببا لتقليل هيبة

ع٧١ سيد نذير حسين: "معيار الحق" ص. ٢٨٩، أنظر أيضا: فضل حسين: "الحياة بعد المماة" ص ٣٩١.

السنة في قلوب الناس.

* كان من أمر السلف أنهم كانوا يقبلون كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد صحيحة، من غير أن يعرضوه على الكتاب أو السنن الأخرى عملا بقوله تعالى: ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)) [الحشر: ٧].

* تكون السنة عرضة للقياس المتمثل في أصول الدراية، إذا ثبتت هذه الأصول في نقد السنن والأحاديث.

* كلام النبوة له صفة متميزة: ((وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)) [النجم: ٣-٤]. وهو دليل على نفسه وبينة مستقلة بذاته: ((لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة.)) [البينة ١-٢]. وعلى كلام النبوة توزن الأقوال والأعمال، لا كلام النبوة يوزن على قياس القياسين وعقل المتحالين. ع٧٢

ع٧٢ ابراهيم مراد "تاريخ أهل الحديث". ص. ٢١١، وأيضا: فضل حسين: "النبأة لبداية الأمة" ص. ١٤٧.

فهرس المحتويات

المقدمة	١
الباب الأول: سيد نذير حسين وعصره	٦ - ٣٧
الفصل الأول: الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية في عهد سيد نذير حسين	٦ - ١٥
الفصل الثاني: حياته وآثاره	١٦ - ٢٩
الفصل الثالث: موقفه لتغيير الأوضاع المتدهورة للمسلمين	٣٠ - ٣٧
الباب الثانى: الحركات الإصلاحية في القرن التاسع عشر وأثرها على سيد نذير حسين	٣٨ - ٦٥
الفصل الأول: الحركة الاصلاحية الديوبندية	٣٨ - ٤٧
الفصل الثاني: حركة سيد أحمد خان والحركات الاصلاحية الأخرى	٤٨ - ٥٧
الفصل الثالث: ظهور حركة أهل الحديث	٥٨ - ٦٥
الباب الثالث: سيد نذير حسين في ضوء كتاباته	٦٦ - ١٠٤
الفصل الأول: كتابات سيد نذير حسين	٦٦ - ٧٣
الفصل الثانى: التقليد والإجتهاد لدى سيد نذير حسين	٧٤ - ٨٥
الفصل الثالث: التركيز على الفقه والحديث	٧٦ - ١٠٤
فهرس المحتويات:	١٠٥
المصادر والمراجع:	١٠٦ - ١١٠

المصادر والمراجع

الكتب العربية

١ - زبير أحمد: مساهمة الهند وباكستان في الأدب العربي،

٢ - زبير أحمد الفاروقي: مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي، دار الفاروقي نيودلهي، ١٩٩٠.

٣ - عبد الحي شجاعت علي: الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية منذ الإستقلال ١٩٤٧م، المعهد الديني للدراسات الإسلامية نيودلهي، ١٩٨٩.

٤ - عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، دار عرفات رائے بريلي، ١٩٨٤.

٥ - " " الثقافة الإسلامية في الهند، دمشق، ١٩٥٨.

٦ - عبد الرحمن الفريوائي: جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، إدارة البحوث الإسلامية بنارس، ١٩٨٦.

٧ - " " جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم، ادارة البحوث الإسلامية بنارس، ١٩٩٢.

٨ - غلام علي آزاد البلغرامي: سبحة المرجان، معهد الدراسات الإسلامية،

جامعة علی کراہ الإسلامیۃ، ١٩٧٦

المجلات العربیۃ

١ - نور عالم خلیل الأمینی: (رئیس التحریر)
الداعی، "مجلہ إسلامیۃ عربیۃ شہریۃ" دار العلوم
بدیوبند، سبتمبر-أکتوبر ١٩٩٢.

٢ - أ. رحمٰن سلفی: (رئیس التحریر)
صوت الأمۃ، "مجلہ شہریۃ إسلامیۃ أدبیۃ"،
دار التألیف والترجمۃ بنارس، ٩٩-٩٦-١٩٩٢.

الکتب الأردیۃ

١ - أبو یحیی نور شہروی: تراجم علماء أہل حدیث، الکتاب انٹرنیشنل
نئی دہلی، ١٩٩٢.

٢ - " " علماء اہل حدیث کی تصنیفی خدمات،
دار التألیف والترجمۃ بنارس، ١٩٩١.

٣ - " " ہندوستان میں علماء أہل حدیث کی علمی خدمات،

مکتبہ نذیریہ حضور پاکستان، ۱۹۸۸

٤۔ ابراہیم میر سیالکوٹی: تاریخ اہل حدیث، الکتاب انٹرنیشنل جامعہ نگر نئی دہلی، ۱۹۹۵.

٥۔ لطف حسین: "مقدمہ" سید نذیر حسین: "معیار الحق"، مکتبہ نذیریہ حضور پاکستان، ۱۹۳۸.

٦۔ خلیق احمد نظامی: ۱۸۵۷ء کا تاریخی روزنامچہ، ندوۃ المصنفین اردو بازار جامع مسجد، یونین پریس دہلی، ۱۹۷۱.

۷۔ رحمن علی: تذکرہ علماء ہند، کراچی پاکستان، ۱۹۶۱.

۸۔ سید محبوب رضوی: تاریخ دیوبند، مکتبہ دار العلوم دیوبند، ۱۹۸۲.

۹۔ سید احمد خاں: آثار الصنادید، اردو اکادمی دہلی، ۱۹۹۰.

۱۰۔ سید سلیمان ندوی: "مقدمہ" نوشہروی: تراجم علماء اہل حدیث الکتاب انٹرنیشنل نئی دہلی، ۱۹۹۲.

۱۱۔ سید نذیر حسین: معیار الحق، مکتبہ نذیریہ حضور پاکستان، ۱۹۳۸.

۱۲۔ " " فتاوی نذیریہ، مکتبہ نذیریہ حضور پاکستان ۱۹۵۸.

۱۳۔ شیخ محمد اکرام: رود کوثر، کلاسیکل پبلشرس دہلی ۱۹۸٤.

۱٤۔ " " موج کوثر " " " ۱۹۸۱

۱۵ - عطاء الرحمٰن قاسمی: الواح الصنادید، مولانا ابوالکلام اکادمی دہلی، ۱۹۹۰.

۱۶ - عبدالرزاق : ابوالکلام آزاد کی کہانی خود اس کی زبانی، پونین پرنٹنگ پریس دہلی، ۱۹۴۸.

۱۷ - مفضل حسین مظفرپوری: الحیاۃ بعد المماۃ، مکتبہ نذیریہ حضور پاکستان ۱۹۳۲.

۱۸ - مناظر احسن گیلانی: سوانح قاسمی، مکتبہ قاسمیہ دیوبند، ۱۹۸۸.

۱۹ - محمد میاں دیوبندی: علماء ہند کا شاندار ماضی، مکتبہ رحیمیہ دیوبند ۱۹۸۸.

۲۰ - مظہر حسین مہدی: علی گڑھ تحریک ایک سیاسی اور سماجی مطالعہ، انجمن ترقی اردو دہلی، ۱۹۹۲.

۲۱ - نذیر احمد رحمانی: اہل حدیث اور سیاست، الجامعۃ السلفیہ بنارس، ۱۹۸۶.

ENGLISH BOOKS

1. BARBARA DALY METCALF, ISLAMIC REVIVAL IN BRITISH INDIA DEOBAND 1800-1900, (PRINCETON UNIVERSITY PRESS, NEW JERSEY, 1982)

2. MOIN-UD-DIN, A HISTORY OF THE FARĀ'IDĪ MOVEMENT IN BENGAL, (KARACHI, 1965)

3. QEYAMUDDIN AHMAD, THE WAHABI MOVEMENT IN INDIA, (CALCUTTA, 1976)

4. SHAN MOHAMMAD, SUCCESSORS OF SIR SAYYED AHMAD KHAN, THEIR ROLE IN THE GROWTH OF MUSLIM POLITICAL CONCIOUSNESS, (IDARA ADABIAT, DELHI, 1981)